الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائري

الالتزام في الرّواية الجزائرية

– رواية أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل لسعيد خطيبي–

مقدمة من قبل:
الطالب (ة):شيماء حشاني
الطالب (ة):منى عودي

تاريخ المناقشة:01 / 10 / 2020

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
فوزية عساسلة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
أحلام عثامنية	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/2019

مقدّمة

شهدت الرّواية العربية تطوّرًا كبيرًا، و اِنتشارًا واسعًا في جلّ الدول العربية إذ تزايدت الأعمال وتنوّعت تجاربها و اِختلفت أساليبها، نتيجة وعي الكتّاب للرّواية و اِطلاعهم على الروايات الأجنبية الأخرى، فحدث تأثّر كبير لديهم فأصبحت بذلك أعمالهم الروائيّة تعكس الواقع الإجتماعي حتى شملت كافة المشاكل تقريبًا منها الإجتماعية والسياسية، وحتى القضايا الإنسانية .

و في ظلّ هذا التطوّر الملحوظ لم تكن الرّواية الجزائرية غائبة عن الساحة الأدبية، بل واكبت نمو و وعي ثقافي كبير، مسّت من خلاله جميع نواحي الحياة. فما كان إلاّ على الأديب الجزائري أن يلتزم بتدوين قضايا و ظواهر مختلفة للأحوال و التحوّلات التي مرّت بها البلاد، إبتداء من الثورة إلى غاية ما بعد الإستقلال بجميع آلامه وأفراحه .

فكانت رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل " محطتنا، و على هذا الأساس جاء اِختيارنا لهذا الموضوع لعدّة أسباب نذكر منها :

- أنّ الرّواية جديدة في الساحة الأدبية من إصدارات 2016.

- الرّواية غنية بالاِلتزام الذي يخدم الموضوع .

- قلّة الدراسات حول هذه الرّواية.

عبّر الروائي سعيد خطيبي عن الالتزام بطريقة أدبية فنيّة، و كأنها تعيش معنا و كل هذا يجعلنا نتساءل : ما مفهوم الاِلتزام في الفن الرّوائي الجزائري بصفة عامة و في رواية (أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل) بصفة خاصة ؟ كيف تشكل الاِلتزام من خلال عناصر الرواية ؟ وما هي أهم القضايا البارزة التي تناولها الأديب في روايته ؟ ولماذا ؟

ومن هنا توجّهنا بالبحث عن الإلتزام في الرّواية الجزائرية لأنّها تستحق الإهتمام والدراسة، وهدفنا هو إثبات وجود أدب جزائري راقٍ يحمل مغزى وقيماً و مبادئ المجتمعات في عصرنا الحالي، وكذا تعرية الواقع المعاش بجوانبه المتعدّدة .

أمّا المنهج المعتمد فهو المنهج الوصفي التحليلي، وهذا نظرًا لطبيعة الموضوع المتناول. الذي فرض علينا تقسيمه إلى ثلاثة فصول جمعنا فيها بين ما هو نظري و تطبيقي تتصدرهم مقدّمة، وتليهم خاتمة و مُلحق و فهرس للموضوعات .

تناولنا في الفصل الأول المعنون ب: "مفاهيم و مصطلحات" مفهوم الالتزام وأنواعه في المذاهب الأدبية، و في المتن الرّوائي الجزائري .

أمّا في الفصل الثاني بعنوان "دراسة ظاهرة الالتزام في رواية أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل" تحدّثنا فيه عن توظيف الالتزام من خلال عناصر الرواية العنوان، السرد، الشخصيات، المكان، الزمان.

وفي الفصل الثالث المعنون بـ" قضايا الالتزام في رواية أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل" قمنا بإستخراج تلك القضايا و تحليلها، و أخيرا خاتمة جمعنا فيها أهم النّتائج المتوصل إليها .

إعتمدنا في دراستنا على بعض المراجع المهمّة والخادمة للموضوع منها، الأديب والالتزام لنوري حمودى القيسى، ما الأدب لجون بول سارتر، تر: محمد غنيمي هلال، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي لرجاء عيد.

وأنوّه إلى وجود دراسة سابقة تناولت ظاهرة الالتزام جاءت بعنوان" دراسة ظاهرة الالتزام في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار"، من إعداد الطالبتين: طهراوي زينب، ومنصوري سامية، من جامعة البويرة (مذكرة ليسانس).

وكأيّ بحث فقد واجهتنا العديد من الصعوبات منها: عدم التّمكن من الحصول على بعض الكتب التي لها علاقة وطيدة بموضوعنا، ضفْ إلى ذلك تفشي وباء كورونا الذي اِستدعى غلق الجامعة بكل مرافقها، ونقصد بذلك المكتبة التي كانت عونًا لنا في خدمة بحثنا

وفي الأخير نتوجّه بعبارات الشّكر و العرفان لأستاذتنا الكريمة الدكتورة "أحلام عثامنية" التي تفضّلت بالإشراف على هذا البحث و رعايته فلم تبخل علينا بالنصائح والإرشادات والتّوجيهات

القيّمة التي مكنتنا من التّغلب على الصعاب، فلها منّا جزيل الشكر، ونسأل الله أن يجزيها الصحة والعافية ويكرمها باليقين، دون أن ننسى كل من ساعدنا في هذا البحث سواءً من قريب أو من بعيد، ونسأل الله مزيدًا من فضله وفيضه وأن يتقبّل عملنا هذا فهو منه وإليه.

الفصل الأول

مفاهيم و مصطلحات

أولا / مفهوم الإِلتزام

ثانيا / الأديب بين الحرية و الإلتزام

ثالثا / الإِلتزام في المذاهب الأدبية

رابعا / الإِلتزام في المتن الروائي الجزائري

أولا– مفهوم الإلتزام:

توطئة:

إنّ الإنسان اِبن بيئته، وهو بطبعه اِجتماعي لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن المجتمع ،فهو يتأثّر ويؤثّر فيه، وبخاصّة إذا كان أديبًا يعي ما يجري حوله من أوضاع سياسيّة واِجتماعيّة واِقتصاديّة، حيث ينقل هموم واِنشغالات وطنه من حزن وفرح مدافعًا عنه، فالأديب لسان وطنه بأكمله. ومن هنا جاء مفهوم الاِلتزام.

أ– لغة:

وردت عدّة تعريفات لمصطلح الاِلتزام في المعاجم اللّغويّة ،وكان يُراد بها الاِعتناق والمداومة للشّيء،يقال:« **لَزِمْتُ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ لُزُومًا وَلِزَامًا،وَلَزِمْتُ بِهِ وَلَازَمْتُهُ. وَأَلْزَامُ المُلَازَمَةِ"ويقال:صَارَ كَذَا ضَرْبَةُ لَازِمٍ لُغَةً فِي ضَرْبَةِ لَازِمٍ وَأَلْزَمَهُ. لِلشَّيْءِ وَإِلْتَزَمَهُ ، وَالاِلْتِزَامُ أَيْضًا الاِعْتِنَاقُ**» .[1]

وهناك من عرّفه بقوله : «**لَزِمَهُ الشَّيْءَ يَلْزَمُهُ لَزِمًا وَلُزُومًا وَلَازَمَهُ مُلَازَمَةً وَلِزَامًا وَإِلْتَزَمَهُ وَأَلْزَمَهُ إِيَّاهُ فَالْتَزَمَهُ وَرَجُلٌ لُزَمَةٌ يَلْزَمُ الشَّيْءَ فَلَا يُفَارِقُهُ**»[2] والمقصود بالالتزام هنا الرضا بالشيء وشدّة التّمسك به.

كما نجد تعريفا آخر:"**لَزِمَ: لَزَمَهُ، المَالَ لُزُومًا. وَأَلْزَمْتُهُ إِيَّاهُ وَلَزِمَ عَزِيمَهُ لَزْمًا وَلَا تُنْتَزَعُ مِنْ لَزْمِهِ حَتَّى تَنْتَزِعُ الحَقَّ مِنْهُ ،وَفُلَانٌ مَلْزُومٌ وَأَخَذَ يُمْطِلُنِي فَلَازَمْتُهُ حَتَّى اِسْتَوْفَيْتُ حَقِّي مِنْهُ وَأَلْزَمْتُ خَصْمِي اِذَا حَجَجْتُهُ ، وَالْتَزَمَ الأَمْرَ وَهَذَا مُلْزَمُ الصَّيْقَلِ لِخِشْيَةِ الَّتِي يُصْقَلُ عَلَيْهَا ،وَمِنَ المَجَازِ اِلْتَزَمَهُ: "عَانَقَهُ"** »[3] جاءت في هذا القول بمعنى متابعة الشّيء وإقناع الطّرف الآخر بفعله واِتّباعه والمداومة عليه، فالملتزم هنا متمسّك برأيه إلى حدّ كبير.

---

[1] مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر الرازي ،تح :محمود خاطر ،مادة (ل ،ز ،م) ،مكتبة لبنان،بيروت، (د .ط) ، 1993 ،ص612.

[2] لسان العرب ،إبن منظور ،مادة (ل ،ز ،م) ،دار صادر ،بيروت ،ط1 ،(د، ت) ،ج 12 ،ص 141.

[3] أساس البلاغة ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر احمد الزمخشري ، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998، ج2 ، ص166.

وقد ورد لفظ الإلتزام في القرآن الكريم في قوله تعالى: "**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَائُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا** " [1]فالكافرون سوف يكون تكذيبهم لزامًا لهم أي قتلهم ،مقتضيًا لعذابهم وهلاكهم ودمارهم في الدّنيا والآخرة.

فدلالة الإلتزام إذًا لم تخرج في وضعها اللّغوي عن إعتناق الأمر وعدم مفارقته ،وهو غير بعيد عن المعنى الاصطلاحي، بل يكاد يتطابق معه، وهذا ما سنلاحظه.

ب – إصطلاحا:

يقصد بالإلتزام في المعنى الإصطلاحي «**إعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عن الإنسان لا لمجرّد تسلية غرضها الوحيد المتعة و الجمال** » [2] يرسم الأديب الفنّان مسار أمّته الصّحيح و الهادف ،واتّخاذه موقف المشاركة الفعّالة في القضايا الإجتماعيّة و السّياسيّة متّخذًا من مجال الفكر و الأدب مساحة للتّعبير عن ذلك .

ويعرّفه سارتر بقوله «**وممّا لا ريب فيه أنّ الأثر المكتوب واقعة إجتماعيّة، ولابدّ أن يكون الكاتب مقتنعًا به عميق إقتناع حتّى قبل أن يتناول القلم، إنّ عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليّته وهو مسؤول عن كلّ شيء ،عن الحروب الخاسرة أو الرّابحة ،عن التّمرّد و القمع،إنّه متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطّبيعي للمضطهدين** » [3] ،يؤدّي الأدب دورًا كبيرًا في تقرير مصير واقع المجتمعات ،فالأديب هو المسؤول عن الحريّة، وعن الإستعمار، وعن التّطوّر،وكذلك التّخلّف .

والالتزام هو «**مشاركة الشّاعر أو الأديب النّاس همومهم الإجتماعيّة والسّياسيّة ومواقفهم الوطنيّة ، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلّبه ذلك إلى حدّ إنكار الذّات في سبيل ما إلتزم به الشّاعر أو الأديب ،ويقوم الإلتزام في الدّرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو**

[1] القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، (د، ط)، (د،ت) ، سورة الفرقان ، الآية [6] ،ص644.

[2] معجم مصطلحات الأدب ،مجدي وهبة ،مطبعة دار القلم ،بيروت ،(د ،ط) ،1974 ،ص79.

[3] ما الأدب ،جون بول سارتر ،تر:محمد غنيمي هلال ،دار نهضة مصر ،القاهرة ،(د، ط) ،(د، ت) ، ص62.

الأديب أو الفنّان فيها »[1] وهذا لأنّ الأديب اِبن أمّته يضع مشاكلها و همومها على عاتقه،ويواجهها و يحاول اِيجاد الحلول لها بطريقته الخاصّة و المناسبة و هذه المواقف و القرارات تقتضي صراحة ووضوحًا و الإخلاص والصّدق، واِستعدادًا من المفكّر لأن يحافظ على اِلتزامه دائمًا،ويتحمّل كامل ما يترتّب عن هذا الاِلتزام من مسؤوليّة .

كما يعني الاِلتزام«**والاِلتزام يعني دعوة سياسيّة مباشرة ،ولا هروبًا من الواقع و اِستعمال بعض العبارات التّسويقيّة ،ولا تذبذب في أحد المواقف إزاء القضايا الاِنسانيّة الكبرى والمشاكل الاِجتماعيّة والعالميّة بل هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضيّة سياسيّة أو اِجتماعيّة أو فنيّة والاِنتقال من التّأييد الدّاخلي إلى التّعبير الخارجي عن هذا الموقف بكل ما ينتج الفنّان من آثاره، وتكون هذه الآثار محصلا لمعاناة صاحبها، ولإحساسه العمل و الكفاح و المشاركة الفعليّة في تحقيق الغاية من الاِلتزام** »[2] يقتضي الاِلتزام تقيّد الأدباء و الفنّانين في أعمالهم الفنّيّة بإتّباع قواعد وأفكار معيّنة وذلك من أجل تقريبها إلى عقول المتلقّين.

و يراد به أيضًا« **وجوب مشاركة الأديب بالفكر والشّعور والفنّ في القضايا الوطنيّة والإنسانيّة و فيما يعانون من آلام و ما يبنون من آمال**»[3]فغير معقول أن يبقى الأديب مستغرقًا في التّأمّل في الجمال و الخير ،في حين وطنه يعاني من ويلات الاِحتلال و طغيانه و اِمتداده ،أو أن يسترسل في خيالاته ومشاعره الفرديّة ،في حين وطنه من حوله يجاهد في سبيل الآمال المشتركة.

بينما يرى ماهر فهمي أنّ الالتزام :« **يمثّل موقفًا يتّخذه الأديب واِعتقادًا يدين به ،ونظامًا يجاهد له ،وبعبارة أوضح هو دعوة سياسيّة ينادي بها ،أو مبدأ أخلاقي يتبنّاه ،أو عقيدة دينيّة يتولّى الدّفاع عنها**»[4] .أي أنّ الالتزام عنده هو ثلاثة أشياء : سياسة وأخلاق ودين ،كلّ يؤدّي وظيفته ،فالسّياسة يدعو لها والأخلاق من خلال تبنّي قضايا أخلاقيّة ،والدّين بالدّفاع عنه.

---

[1] الاِلتزام في أدب المعرفة http.//n.marefa.org يوم 2020 \02\15 .على الساعة 14:20.

[2] المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار الملايين ، بيروت ، ط9، 2007، ص31.

[3] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، مصر ، (د، ط)، 1997 ، ص456.

[4] موقف الأديب بين الحرية و الإلتزام ، ماهر حسن فهمي ، حوليات كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، ع3، 1981، ص51.

ويربط زكي نجيب محفوظ مسألة الإلتزام بالحريّة، ويرى بأن لا وجود للحريّة المطلقة في الفنّ،بل لابدّ من وجود وشرط حضور الإلتزام بالحقّ ويتصرّف في عمله كما يشاء له بل بإتّزان وحكمة فيقول :« **ليست ثمّة حريّة تجيز للفنّان أن يعبث بمادّته الفنيّة كما يشاء و كما تشاء له نزواته و لابدّ من الإلتزام ،وأنّ الإلتزام هو إلتزام الحقّ الذي يجده الفنّان داخل نفسه ،وليس فنًّا يبيح لصاحبه أن ينطلق بلا حدود ولا قيود ،وإن كان الفنّان إنسانا حالمًا فهو يحلم أحلامًا منضبطة و مقيّدة بحدود الحقّ ،ذلك الحقّ الذي ينشده الفنّان في فنّه ويبلّغه راقيًا صافيًا و عظيمًا لجميع البشر**»[1]

عرّفت الآداب القديمة، كذلك الإلتزام وهو ما أكّده توفيق الحكيم فيقول : «**والحقيقة المسطورة في التّاريخ ،هي أنّ الإلتزام في الأدب والفنّ قديم ... فالشّاعر في المجتمع البدائي وُلد ملتزمًا بالدّفاع عن قبيلته ،مشيّدًا بفضائلها مزريًّا بخصومها ... و لم ينسلخ تفكيره قبيلته...** »[2]إلّا أنّهم لم يتخذوا منها فلسفة مثلما فعل الأدباء والنّقاد والشّعراء ،لتكون لهم منهجًا في كتابتهم وتفكيرهم كما فعل المحدّثون «**يرجع بعض الباحثين قضيّة الإلتزام إلى الشّعر الجاهلي عندما إنسحبت القصيدة من عالم الغيب ومخاطبة الجماهير ،ومعالجة قضاياه إبتداءً من زمن امرئ القيس والمهلهل** »[3] فالشّاعر الجاهليّ ملتزم بقضايا قبيلته ،لأنّه فرد منها ،والقبيلة آنذاك كانت تفخر وترفع من شأن شاعرها خاصّة إذا نبغ منها نابغة في الشّعر ،لأنّه حماية لأعراضهم و تخليد لمآثرهم.

لكن يرى البعض الآخر أنّ الشّعر العربيّ الجاهليّ كان يتغنّى بالمبادئ والمثل العليا ،يريد المجتمع أن يحقّقها على أرض الواقع في ذلك الوقت ،لكن البعض إنزاحوا عن هذا المبدأ المثاليّ ،وذهبوا إلى التّغنّي بالخمر والمرأة وغيرها :« **فيما يرى البعض الآخر أنّ الشّعر العربيّ الجاهليّ تغنّى بمثل خلقيّة عليا ،إلاّ أنّ هذه المثل العليا كانت مجرد أفكار تحتذى ،و لكنها لا تحقّق في الخارج**

[1] الالتزام و الإبداع الفني في الشعر الإسلامي ، أنس حسام النعيمي ، دار مجدلاوي ، عمان، ط1، 2014، ص67.نقلا عن: في فلسفة النقد ، محمود زكي نجيب ، دار الشروق، القاهرة، (د، ط)، 1979،ص46

[2] الالتزام في الشعر الفلسطيني المعاصر، أحمد محمد أحمد المصري، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، مصر ، 1989، ص15

[3] الالتزام و الإبداع الفني في الشعر الإسلامي المعاصر ، أنس حسام النعيمي، ص67

ولم تكن أخلاقًا محقّقة في المجتمع ،إنّما كانت تمثّل قيمًا أعجب بها النّاس وطمحوا إلى تحقيقها ،في حين لم يكن في وسعهم أن يتقيّدوا في سلوكهم العمليّ بمتطلباتهم إلاّ في نطاق محدود، وعلى تفاوت فيما بينهم كلّ حسب طاقته وإستعداده و ذلك بخلاف بعض شعراء العصر العباسي الذين خرجوا عن القيم ، وكسروا قواعد الإلتزام في سلوكهم ،أمثال بشّار وأبي نوّاس »[1].

والإلتزام في هذه الحقبة لم يتضمّن المفهوم المتعارف عليه حاليًّا خاصّة عند شعراء اليوم و هذا راجع إلى :

1- الإلتزام الفاعل يحتاج إلى ثقافة وفي العصر الجاهليّ كان مجتمعا أميًّا.
2- الإلتزام مرتبط بالحريّة والشّاعر الجاهليّ كان مقيّدًا بعادات وتقاليد قبيلته لا يمكن أن يتجاوزها.
3- غرض الشّعر قديمًا هو التّكسّب في العصر العبّاسي وهذا من خلال مدح الأمراء و السّلاطين.

ثانيا- الأديب بين الحرية والإلتزام:

إنّ الإلتزام وليد الحريّة، يعبّر فيه الأديب عن قضايا وطنه ومجتمعه بكلّ حريّة، ودون قيد،ويعتمد في ذلك على حريّة الإختيار والتّفكير على عكس الإلزام الذي يقيّد الأديب ممّا يحبس الإبداع قيل:« **فالملتزم هو الذي يتّبع الإلتزام حرًّا من قلبه وبيئته وعقيدته يقوم به عن وعي وإقناع وإختيار حرّ دون تكلّف أو إكراه**»[2]. فالإلتزام لا يكون قسرا أو إكراها وإلا فهو الزام وشتان ما بينهما.

[1] المرجع السابق ، ص ن ، نقلا عن : الأديب بين الحرية و الالتزام ، حسان عبد الحكيم ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة، ع5، 1981، ص117.

[2] الالتزام في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (د، ط)، 1976، ص14، نقلا عن : موقف الالتزام و الإلزام من الأديب ، العرباوي هاجر، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، ص4.www.diae.com

وفيما ذكر أيضًا : «**الإلتزام اِبن الاِختيار،والإلزام اِبن الإجبار الأوّل ثمرة من ثمرات الوعي والإدراك، واليقظة والمسؤوليّة، والثّاني من ثمرات التّغييب والإملاء والتّسيير**» [1] ،وتظهر في الإلتزام حريّة شخصيّة صاحبه، والإلزام يقيّد ويجسّد الشخصيّة فهو نقل فقط ،حيث يصدر الأديب أدبه عن إكراه وإجبار.

«**إنّ الأديب الملتزم كالطّائر السّابح المنطلِق لا قيد يمسكه ،ولا غلّ يلتفّ حول يديه أو جناحيه أو عنقه ،إنّه يُمضي في هذا الفضاء الرّحب الفسيح ،شاديًا للحريّة والبهاء والجمال** » [2] فالإلتزام إذًا ليس قيدًا كما يدّعي البعض بل هو الحريّة عينها ،الواعية المسؤولة لِما تحمله من رسائل غير مزيّفة.

«**ولكنّ الأديب المُلزم هو كالطّائر الحبيس ،لا يشفع له في سجنه جمال قفصه ،أو أعمدة الذّهب التي صنع منها هذا القفص ،أو نفاسه الأسْورة التي وضعت في معصمه .إذ حسبه عارًا وهو سجين ،لا يحلّق إلّا في هذا القفص الذي أريد له أن يحلق فيه** »[3] أي أنّ الأديب الملزَم مقيّد وليس حرًّا كما يضنّه البعض ،فهو غير مؤمن بالقضيّة التي يتبنّاها ، وهو حبيس أفكاره لا يهمّه كلّ ما يجري من حوله.

«**فالإلتزام موافق لطبع الإنسان ،مجار لفطرته، ومنسجم مع إنسانيّته، لأنّه قد خرج من نفسه ،عن اِقتناع به ورغبة فيه، أما الإلزام فإنّه مصادم للطبع ،ومناقض للفطرة فلا يليق بمنزلة الإنسان ولا يتّفق مع مكانته ،فالفرق بينهما جدّ كبير ومتّسع** » [4] . وهذا المعنى الإصطلاحي لا يخرج عن معناه اللّغوي «**فالإلتزام بالمعنى اللّغوي :اِعتناق الشّيء ، والتّعلق به وعدم مفارقته وأمّا الإلزام ،فإنّه يكون بمعنى :« التّبكيت والقسر والإكراه** » [5]،يشارك الأديب في الإلتزام النّاس قضاياهم وتطلّعاتهم وحتّى آراءهم السّياسيّة والثّقافيّة الكثير من الحزم لمواجهة تحدّيات المجتمع ،أمّا الإلزام «**فقد يتخطّى فيه الأديب والشّاعر الحريّة والإختيار، فينتجه بفكره وتطلّعاته إلى مواضيع**

[1] وليد قصاب ، الالتزام في الأدب ، شبكة الألوكة ، www.alukah.net، يوم 2007/07/11 الساعة 14:12

[2] المرجع نفسه .

[3] المرجع نفسه.

[4] الإلتزام و الإبداع ، في حوار الأديب ناصر الحنين ، مجلة الشقائق ، العدد 65 ، ذو القعدة ، ص 56.

[5] المرجع نفسه .

خاصّة لكنّ التّطرّق إليها أو دراستها يكون نوعًا ما عن إكراه أو حتّى إجبار »[1] فيقف مُلزمًا بالقضايا الإنسانيّة ويبني موقفه على اليقين والصّدق والوضوح بتقيّد ،لكن الإلتزام يراعي تلك الظروف بحريّة ،وقد أوضح عبد الله الركيبي وأعطى الفرق بين الإلزام والإلتزام حيث يرى «**أنّ الأدب الملزم هو أدب محظّ خالص يختص بإيديولوجيّة أمّا الملتزم قد يرتبط اِرتباطًا وثيقًا بالقيم الإنسانيّة وقد كان مواكبًا للفكر وتاريخه عبر العصور القديمة، وكذا نابع من أعماق النّفس البشريّة، لكن كل هذا موجّه للإنسان ذاته للتّعبير عن طبائعه وتطلّعاته، وهكذا فالأدب الملتزم يختصّ بالحريّة «التّعبيريّة محاكاة أو سلطة** »[2] يشمل الإلزام السّياسة ولذلك يشترط فيه الإجبار والتّقيد أمّا الالتزام فهو أوسع من ذلك يهتمّ بجميع القضايا الإنسانيّة مهما كان نوعها، وهذا ما يجعل الأديب الملتزم يتمتّع بالحريّة ويعمل على اِنتاج الإبداع.

ثالثا– الإلتزام في المذاهب الأدبية:

أ– مفهوم الالتزام في النقد الإسلامي:

عُرّف مصطلح الإلتزام في جميع المجالات والميادين، لأهميته في معالجة قضايا المجتمع وتتبعها، ولقد شمل حتى الجانب الديني بمعنى الالتزام في الأدب الإسلامي.

وقد تطرّق إليه "نجيب الكيلاني" من خلال قوله:« **هو الطاعة والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية، وفرح في قلب المؤمن وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة، وكل ما يتعلق بها، والالتزام إذن عمل يبدأ بالنية الصادقة والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان ونفسه وبينه وبين الآخرين**»[3]

ينطلق الأديب الإسلامي الملتزم من النية الصادقة والقناعة والرغبة في القيام بذلك العمل، وفق مبادئ إسلامية في مختلف القضايا، ومهما كان نوعها، عليه أن ينطلق وفقها لحل تلك القضايا

[1] موقف الإلتزام والإلزام من الأدب ، العرباوي هاجر،ص6.

[2] حول الإلزام والإلتزام ،عبد الله الركيبي ،جريدة الشعب ،16 سبتمبر 1970، ص7.

[3] الإسلامية و المذاهب الأدبية ، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت، (د، ط)، 1987، ص79.

وتناولها، وتلك المعايير التي يتبعها في حل المشكلات المعالجة حيث تقربه من المجتمع وننشر المحبة بين بعضهم البعض.

إنّ الإلتزام في الإسلام بمعناه الأصيل ليس نقيض الحرية التي يختلف مفهومها من فلسفة إلى أخرى ومن مذهب لآخر«،**فالحرية في الدول الشيوعية والبلدان الاشتراكية ترتبط أساسا بلقمة العيش، ولا مكانة فيها لرأي بعيد عن النظام المتبع. والحرية في العالم الغربي تتمثل في حرية رأس المال، وفي التعبير الفردي. مهما أخلّ بالقيم والأخلاق العامة. أما في الإسلام فإن هناك ضوابط للحرية من صنع الخالق، روّعت فيها طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع**»[1].

يحترم الأديب الملتزم المسلم قيمة وحرية الإنسان وظروفه وفق ضوابط ومبادئ دينية، وهذه النظرة بعيدة قليلاً عن النظرة الغربية والشيوعية. «**الالتزام في نطاق الحرية الاسلامية، لا يضع قيدا على فكر ولا يعطل مسيرة أي جهد علمي، ولا يصادر إبداعا فنيا، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها، وتحقق ذاتها، ولا يحد من طبيعة التفاعل الإنساني الخلّاق** »[2]

يعني أن الإسلام يحرّر المبدع في عمله وجهده، ولا يفرض عليه أي قيود أو شروط، كونه يساهم في نشر السّلام الإنساني.

نظرة الإسلام للإلتزام هي نظرة إيجابية تنظم حياة الفرد والمجتمع وتساهم في استقراره«**فحياة الفرد لا تنتظم إلا بالتزامه نظاما معينا في نعيشته...نظاما يشمل كل شيء وكل سلوك، يشمل موعد اليقظة وموعد النوم، وموعد تناول الطعام، وموعد العمل، وموعد الراحة...إلخ، ويشمل طريقة أداء كل عمل من هذه الأعمال، ويشمل إنشاء علاقات منظمة بأفراد الأسرة وأفراد المجتمع ... والتزام هذه العلاقات**»[3].

لا يركز الإلتزام في الأدب الإسلامي على حل قضايا إجتماعية فقط، بل وينظم حياته العادية وعلاقته مع غيره، وممارساته اليومية وسلوكاته ومن ثمة حياة مستقرة ومنظمة.

[1] دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، (د، ط)، 1974، ص 121.

[2] مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، ط1 ، قطر ، (د،ت)،ص84.

[3] المرجع السابق ، ص ن.

فالإلتزام مُرتبط بالتّحرر «**وهكذا يتصل الإلتزام والتحرر في داخل النفس وفي واقع الحياة، ويتعاونان معا في أداء مهمة مشتركة، ولو بدأ لأول وهلة أنهما متضادان ومتناقضان**» [1]

الإلتزام يتبعه مبدأ الحرية في الأدب الإسلامي وهذا ما يختلف عن غيره من المذاهب.

«**وإذا كان الأديب مسلمًا فإن معنى التزامه هو مقتضى إسلامه، ذلك لأن دين الإسلام هو دين الالتزام بوجه عام، وهذا ظاهر من أصل مفهوم الإسلام، إذ هو الاستسلام لله والانقياد بالطاعة أو الخلوص من الشّرك** » [2] ، وفي ذلك يقول الله تعالى" **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**"[3] ،سواءً كان هؤلاء المسلمون أدباء أم سواهم، وسواء أكان ذلك القول أدبًا أم غيره، فكر ذلك يشمله.

ب– الإلتزام في التيار الوجودي:

ترتبط الوجودية بالإنسان كعنصر أساسي من خلال عدّه موضوع لها ، وعلاقته بالوجود الخارجي، « **فالإنسان عند سارتر ،هو الخالق المستمر لحريته وبالتالي لذاتيته** » [4] فالإنسان هو الذي يختار ذاتيته ،لكن مع مراعاة ما حوله من العالم الخارجي .

«**هناك مسؤولية ضخمة تعالج فعل الاختيار لأنني لا أختار حين ألتزم لذاتي فقط ،بل أختار لغيري من الناس ،لأّنني قد أعطيت ما اخترته قيمة معينة وأمام هذه القيمة التي إختارتها كأني أشير إلى الجميع كي يتّبعونها** »[5] ،إعتمد سارتر على مفاهيم الحرين أنّها تستوجب الإلتزام، وعندما يتحقق الإلتزام تتحقق المسؤولية بالضرورة.

[1] المرجع السابق ، ص 123.

[2] الإلتزام و الإبداع ، في حوار الأديب ، ناصر الحنين ، ص56.

[3] سورة النساء ، الآية[125]، ص 98.

[4] فلسفة الإلتزام في النقد الأدبي ، رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، (د ط) 1988، ص141.

[5] المرجع نفسه ، ص 143.

«فالفلسفة الوجودية تؤكد أن حرية الإنسان هي أساس القيم، إنّما تواصل تراث كانط وفلسفته ، وهيجل الذي يؤكد أن الذات هي مصدر القانون والواجب والحق ،مع العلم أن الذات عند الوجوديين إنما تعني أفراد الإنسان المركبين من لحم وعظم » [1].

«فحريتي على حد تعبير سارتر ليست صفة مضافة أو خاصية من خصائص طبيعتي ،إنها نسيج وجودي »[2] ،فالحريّة عنده هي أساس كيان وقوام الإنسان.

ونحن إذا أردنا رسم الخطوط العامة للأدب الوجودي لم نجد ،على حد تعبير عبد الرزاق الأصفر ،أفضل من المقالة التي كتبها جان بول سارتر عام 1945 ،نبعد تحرر فرنسا وجعلها مقدمة لمجلته (الأزمة الحديثة)، ومن ثم أصبحت دستورا للأدب الوجودي وتتلخص في ما يأتي:[3]

1-« لكلّ كاتب موقف في عصره ومسؤوليته تجاه مجتمعه والإنسانية بصورة عامة، ولكل كلمة صداها ،حتى إن الصمت موقف له دلالته، والأديب قادر على التأثير في زمانه من خلال وجوده ومواقفه، وإنّ مستقبل العصر هو الذي يجب أن يكون محور عناية الأدباء ،فالأديب يكتب عن عصره ومعاصريه ، و يتحدّث عن نفسه وعنهم في آن واحد ،شريطة ألا يقتصر على طبقة معيّنة ولا يتجاوز لتيار بعينه.

2- الوجوديّة فلسفة الفرد والذّات ضمن موقع خارجي ،ومهمّة الكاتب تغيير المستقبل عن طريق خلق مواقف مشابهة لموقف ،هاته التي تتراكم وتتآزر لتحدّث التّغيير المنشود.

3- مهادئة ولا إخاء مع القوى المحافظة التي تتمسّك بالتّوازن ولأجل ذلك تضغط على الحريّة ، وتمارس القمع والظّلم ولا بدّ لكلّ كاتب ،ولكلّ إنسان من النّضال والكاتب موفّق

[1] الإلتزام في الأدب بين حقيقة الوضع و مجازية الإستعمال ، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية ، جامعة قسنطينة ، ع2 ، أكتوبر 2016 ، ص 14.

[2] مصطلحات سارتر الفلسفية ، رجب محمود ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، المجلد الخامس ، العدد 25 ، مارس 1967 ، ص 22.

[3] المذاهب الأدبية لدى الغرب ، الأصفر عبد الرزاق ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا، د ط ، 1999 ، ص 185.

قضيّته في صميم المعركة ويظلّ موقف الأديب الوجوديّ إلى جانب المضطهدين والمسلوبي الحركة.

4 – تختلف منازع الحياة الوجوديّين ،فبينما نجد كير كيغارد متحمّسا للمسيحيّة نرى أنّ ألبير كامو غارقًا في مأساة الوجود الإنسانيّ ،وعشيّة الأقدار والحياة وأجواء الكآبة واليأس ،أمّا سارتر فقد نشر فلسفة الحريّة والإلتزام والكفاح لأجل الإنسانيّة متأثّرا بمعناه فرنسا من الاحتلال النّازيّ ،وإدراكه أن المصير متعلّق بالحريّة ،ولا مناصّ من المقاومة بكلّ الوسائل ،وقد إستمرّ هذا التّيار إلى أواخر القرن العشرين ، وإعتنقه الكثير من الشبّان المثقّفين والثّوريّين.

5– النشر عند الوجوديّين هو أداة الكشف والتّغيير، لِما يحدثه في الجماهير من أثر، والتّأثّر كاتب يخاطب أحرارًا.

6– أمّا من حيث الشكل الفني للأجناس الأدبيّة ،فالوجوديّون ،شأنهم في ذلك شأن أدباء القرن العشرين ،لا يقدّسون الأطر القديمة ،والأشكال الشّائعة ،نبل يعيدون النّظر في كلّ الطّرائق والأساليب ويحطّمون المألوفات السّابقة ،ويحاولون خلق تقنيات جديدة لكنّهم جميعا مثقّفون على أن الماليّة عنصر ضروري في الأدب شعرًا ونثرًا ،وتستمدّ من طبيعة الموضوع والمتطلّبات الخارجيّة ،ولذلك كثر التّجريب ،وولدت أنماط جديدة من المسرحيّة والرّواية والشّعر " [1].

فالوجوديّة تهتمّ بالإنسان من خلال الأدب، وخاصّة الرّواية فيعتبرونها وسيلة مهمّة للكشف عن آلام، وآمال الإنسان وتحدّياته في ضغوطات الحياة، وصعوباتها وتستمدّ مواضيعها من الواقع الخارجي، وهذا ما تعتمده الأجناس الأدبيّة في تجاربها ،وذلك لتحقيق الحريّة والعدالة والمسؤوليّة، فالأديب الوجوديّ الملتزم لا يكتب لنفسه ما يكتب للإنسان والقارئ، وهذا شرط من شروط الوجوديّة أن يكتب الأديب الملتزم للقارئ أوّلا ثمّ لنفسه، ويكون له وعيًا كاملًا تجاههم ومسؤوليّة ولا «**يُطلق مفهوم الإلتزام إلّا على الكتب الذّي يجتهد في أن يحقّق لديه معي أكثر ما يكون جلاءً**

[1] المرجع السابق ، ص 186

وأبلغ ما يكون كمالًا بأنّه (منجز) أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ، ذلك الالتزام من خير الشّعور الغريزيّ النّظريّ إلى حيز التفكير "[1]. مفهوم الإلتزام لا يطلق على من هبّ ودبّ .

«أمّا الوجوديّون –فأدبهم عامّة أدب التزام –فهم يفرّقون بين الشّاعر والنّاثر :إذ أنّ الشّاعر يستغرق في تجربته .ويراها من خلال وجدانه ،ويستعمل لغة موسيقيّة إيجابيّة ليصوّر هذه التّجربة تصويرًا تصوّر به شيئًا من الأشياء ،مثل لوحة الرّسّام » [2] .

لا يصحّ أن يلتزم الشّاعر بما يلتزم النّاثر ،لأنّ لكلّ واحد طريقته في طريقة التّعبير .

ج– الإلتزام في الواقعيّة الاشتراكية :

يعدّ جون بول سارتر أوّل من بلور مصطلح الإلتزام ،للدّلالة على مسؤوليّة الأديب «**ولتأكيد انّ الكلام الأدبيّ ليس مجرّد ترويج عن النّفس أو تعبير جمالي ،وإنّما هو موقف يستتبّع المسؤوليّة ،أجل موقف يستتبّع إدراكًا .ولكن ذيوع مصطلح الإلتزام على يد سارتر لا يجب أن ينسينا أنّ مفهوم الإلتزام في حقيقة الأمر يعود إلى أدبيات المذهب الواقعيّ الإشتراكي »**[3] ،الذي يقوم أصلًا على تأكيد إرتباط النّتاج الأدبيّ والبنية التّحتيّة ،ومن ثمّ تأكيد رسالة الأدب والفنّ للعمل في سبيل التّغيير من أجل الحياة الكريمة والغد الأفضل، وهي تنطلق في إلتزامها «**في تعاليم (كارل ماركس) ،ونظريّته في الجدل الماديّ ،وخلاصة ذلك ،أنّ الإنسان لا بدّ له قبل الاهتمام بالسّياسة والعلم والدّين والفنّ أن يحصل على طعامه وشرابه ،وملبسه ومسكنه ،وسائر ما يؤمن له الاستمرار في العيش ،فالأساس الإقتصاديّ هو الّذي يحدّد في نهاية المطاف التّطوّرات السّياسيّة والإجتماعيّة والحضاريّة »** .[4]

وتتلخّص سمات المدرسة الواقعيّة الإشتراكيّة في الأدب حسب تحليلات عبد الرّزاق الأصفر بالخصائص التّالية :

---

[1] دفاع عن المثقفين ، جون بول سارتر ، تر : جورج طرابيشي ،منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط1، ،1973، ص92.

[2] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي ، ص 461.

[3] الإلتزام في الأدب بين حقيقة الوضع ومجازيّة الاستعمال ،الخامسة علّاوي ،ص16 .

[4] الإلتزام في الشّعر العربيّ ،أحمد أبو حاقّة ،دار العلم للملايين ،بيروت، (د،ط)،1979،ص 29 .

1-أنّها تنطلق من الوقع الماديّ الّذي منة خلال فهم عميق لبنية المجتمع والعوامل الفعّالة فيه والصّراعات الّتي ستقتضي إلى التّغيير فالواقع هو الصّادق الوحيد والقاعدة العلميّة الموضوعيّة .

2- الأديب طليعة مجتمعه بما أوتي من مؤهّلات فكريّة وفنيّة ووفيّ للعالم ومؤهّلات قياديّة تمكّنه من التّأثير في الأفكار والعقائد والقناعات والسّلوك ،فله إذن رسالة جوهريّة إيجابيّة ،وهي الإِتّجاه مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل للجماهير العريضة ،إذن الأدباء هم مهندسو النفس البشريّة ،ولذلك لهم من رؤية مستقبليّة واضحة لم يجب أن يكون .

3- ينطلق الفهم العميق للمجتمع من التّحليل الماركسيّ للصّراع الطّبقيّ ، والوصول إلى كنه التّناقضات الجدليّة في هذا الصّراع الّذي يقوم على التّأثير والتّأثّر والنّجاح .

4- تولّي الواقعيّة الإِشتراكيّة أهميّة كبرى لرسم وإبراز النّموذج البطليّ إطار التّلاحم النّضاليّ مع الجماهير والتّصميم الإداريّ والصّلابة والوعي والتضحية بحيث يصبح مثالًا للمناضلين ،يحبّونه ويقتدون به .

5- الواقعيّة الإِشتراكيّة إنسانيّة وعالميّة تؤمن بوحدة قضايا الشّعوب ووحدة نضالها في سبيل التّحرّر في التّحرّر الإِجتماعيّ والسّياسيّ ووحدة الخطّ التّاريخيّ، والدّينيّ ،ونرى أنّ القوميّة جسر إلى العالميّة ،وترفض الإِعتداء والتّسلّط والحروب »[1].

نلاحظ من خلال ما تقدّم ذكره عن الواقعيّة الإِشتراكيّة أنّ سماتها إيجابيّة ، تخدم الإنسان وتهتمّ بحريّة الشّعوب ونضالها ،فالأديب له مهمّة خالصة في الواقعيّة الإِشتراكيّة ،وتهتمّ بفكرة القوميّة وتعتبرها هي الّتي توحّد العالم .

وربط الأديب بواقع الطّبقة وانحيازه التّام لها ،والدّفاع عن مبادئ الإِشتراكيّة يعدّ طوقًا من حريّة الأديب الشّخصيّة ،والّتي تتنافى والإِلتزام ،وهذا ما أدّى إليه أقطاب الفكر الشّيوعيّ ،حيث إِتّخذت اللّجنة المركزيّة للحزب الشّيوعيّ قرار مُفاده «**الدّعوة إلى التّشديد في معاملة الّذين لا يلتزمون**

[1] الالتزام في الأدب بين حقيقة الوضع و مجازية الإستعمال ، الخامسة علاوي ، ص17.

بالواقعيّة الإِشتراكيّة، ورأوا في هذا القرار أنّ كلّ عمل فنّي لا يساعد على إِنتصار الثّورة الشّيوعيّة إنّما هو عمل ضدّ الأخلاق ويتنافى معها وأنّ ذلك يعتبر عملًا إجراميًّا» [1].

و هنا يقترب الأديب إلى الإلزام أقرب منه إلى الإلتزام و هذا ما يبتعد عن الحرية و الإبداع نوعا ما ، لكنه يحقق العدل ، فالدفاع عن مبادئ الإشتراكية يعد طوقا يحد من حرية الأديب الشخصية حسب البعض خاصة أقطاب الفكر الشيوعي.

ترى الواقعيّة الإِشتراكيّة «**وجوب إِلتزام الشّاعر ،شأنه في ذلك شأن النّاثر ،فالشّعر هو الحقيقة في صورة من صور التّأمّل ،والشّاعر يفكّر ،وإن يكن تفكيره في شكل صور .وهو لا يبرهن على الحقيقة ،ولكنّه يجلوها :وبهذا يكن للعيان ما لا يراه سواه ،فالشّاعر لا يصف النّاس على ما يجب أن يكونوا عليه بل كما هم عليه** » [2].

يجب على الشّاعر أن يتبّع نفس ما يتّبعه النّاثر في وصفه للنّاس كما هم عليه، وهذا يختلف عن الوجوديّن .

وفي الأخير يمكننا القول أنّ الواقعيّة الإِشتراكيّة تهتمّ بالإِلتزام في الأدب والأديب الملتزم، والأديب مسؤول في كشفه وتحقيقه في التّحوّلات الإِجتماعيّة والحضاريّة وتحريره للإنسان بتقديس مبدأ الحريّة إذ تعدّ هذه الأخيرة شرط من شروط الإِلتزام في الواقعيّة الإِشتراكيّة، كما أنّ الفكر إِنعكاس للمادّة غير مستقلّ عنها، كما أن الواقعيّة الإِشتراكيّة تلحّ على وجهة النّظر التّاريخيّة للطّبقة العاملة وتنطلق من الإيديولوجيّة الماركسيّة الّتي تؤمن بالجماهير وتتفاءل بالمستقبل ،كما أنّها تنطلق من تعاليم كارل ماكس ونظريّته في الجدل الماديّ وتعالج الواقع في الحاضر ولتجاوزه نحو التّطلّع إلى المستقبل، وأنّ الإِلتزام بمعناه الحقيقيّ لا يستغني عن فكرة الحريّة ولا يتعارض معها نولا يمكنه العيش من دون المفهوم الإِشتراكيّ أو من غيره من المذاهب الفكريّة .

[1] فلسفة الإلتزام في النقد الأدبي رجاء عيد ، ص 137.

[2] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ،ص 458.

فالمذاهب الأدبيّة الثّلاث الإسلاميّة، والوجوديّة، والواقعيّة والإشتراكيّة ، وإن إختلفت وجهاتها في إحتضان فكرة الإلتزام فهي جميعها خدمت الإنسان والعالم فحاربت جميع مظاهر الظّلم والإستغلال ،من خلال الأدب بمختلف أجناسه وخاصّة "الرّواية" .

رابعا– الإلتزام في المتن الروائي الجزائري :

إختلفت الآراء و النظريات حول مفهوم الالتزام و دلالته في النص الأدبي من أديب لأخر ومن ناقد لأخر و ذلك بحسب التوجه الإيديولوجي و الانتماء الفكري لكل واحد منهم و لم يقتصر الإلتزام على الشعر فقط و إنما شمل النثر بأنواعه و إستقطب عددا كبيرا من الجماهير و القراء لأنه اقرب إلى نفوسهم وذلك كونه يعبر عن واقعهم بكل تفاصيله « **و ربّما كان النثر أقوى في التوجيه والتثقيف و التوعية لأن أنواعه كثيرة و متداولة فالمثل و الحكاية و الوصية والخطبة و القصة والمقامة، و الأيام و ما يدور فيها كلها كانت تأخذ دورها في الرعاية و تعمل عملها في إشباع رغبة الجماهير و تطلعها نحو الصورة المثلى في العمل الصالح، و الدعوة إلى الالتزام بالعدالة الإجتماعية** » [1] .

فهذه الظاهرة كانت حاضرة في الأعمال الأدبية الروائيّة ،قام من خلالها الرّوائيّون الجزائريّون الوقوف على أهم الأدوات والقضايا الاجتماعية والسّياسيّة والتّاريخيّة وغيرها ،فهي ترصد الواقع ومعاناته بكلّ جزئيّاته وتفاصيله سواء كان ماديًّا أو معنويًّا ،بدون مبالغة أو تطرّف في رسم سورة المجتمع، وقد خاض هذا الالتزام أكثر من ناقد وأديب :مثال: «**محمّد مصايف ،عزّ الدّين إسماعيل ، محمّد مندور ،الذين توغّلوا في نظريّات الالتزام في الأدب** »[2] ،بالإضافة إلى أنّ الكاتب الجزائريّ وقف إلى جانب معظم القضايا القوميّة والعربيّة وجسّدها في أعماله ،من مستوى وطني وقومي ،وقد عثرنا على هذا لدى الكتّاب العرب الّذين ساندوا الثّورة الجزائريّة وقت إندلاعها .فصارت أعمالهم توقظ الإحساس بالوطن وبمشاكله ومعاناته «**وبخاصّة الرّواية الفلسطينيّة التي تعدّ محور القضايا العربيّة منبع الصّراعات المختلفة في وقتنا الحاضر ،لذلك نرى الرّوائي**

[1] الأديب والالتزام ،نوري حمودي القيسى ،دار الحريّة للطّباعة ،بغداد ،(د ،ط) ،1989 ،ص 97.

[2] القصة النسوية في الجزائر ...بين الالتزام والوعي بالذات ،عمر بو شمّوخة يوم6 فيفري 2012 على الساعة 15:05. www.djazairess.com

يحاول أن يوقظ في مجتمعه الشّعور بثقل القضيّة ووزنها وأن ينبّهه إلى أخطارها من حوله،وبهذا يكون قد أعطى بعدًا أكثر من كونه مجرّد أنّه عكس واقعها الحالك ،وتقصد بذلك أنّه اِستطاع أن ينجح في إثارة هذه القضيّة فيها ألت أو ستؤول إليه ،بعد أن تبلورت معاناته »[1] حاول الرّوائي من القضيّة الفلسطينيّة أن يشحذ الهمم، وأنّه ينبّه الضّمير العربي ويوقظ فيه حبّ البلاد والدّفاع عنه ،فالوطن إذا تعرّض فيه خطر ما ،شاع فيه ،الفساد والعنف والظّلم والقتل.

اِرتبط الاِبداع الأدبيّ الجزائريّ بالأرض الّتي ولد فيها النّص الأدبيّ ذاته ، وهو أيضًا مرتبط بمقوّمات شعبه ووطنه، ويمكن أن نقول بمعنى آخر لا بدّ للأدب الملتزم أن يرتبط بالقضايا الجوهريّة المهمّة للأمّة ،وقد ظلّ مفهوم الاِلتزام لدى الأدباء الجزائريّون قبل الاِستقلال الوطنيّ للبلاد لا يخرج عن نطاق تحرير الأرض من الاِستعمار الفرنسيّ والدّعوة إلى الاِصلاح الدّيني الاِجتماعيّ ، وإيمانهم العميق بأنّ القلم الذي يُحمل لن يكون أيّ معنى إذا لم يكن ناطقًا بمعاني الثّورة والتّمرّد والتّحرّر.

وعلى الرّغم من أنّ هناك نصوص روائيّة كتبت بلغة (المستعمر) مثل : "نجمة " للكاتب ياسين ، "الدّار الكبيرة" لمحمّد ديب ،و "الأرض والدّم" لمولود فرعون.... وغيرها «**فإنّه لا أحد يشكّ في وطنيّة أصحابها ،بل إنّ تلك الأعمال الرّوائيّة ظلّ صيتها قائمًا حين يتعلّق الأمر بارتباط الأديب الجزائريّ بنضالات شعبه في التّحرّر والاِنعتاق**[2] »وكما يقول مولود فرعون :" أكتب بالفرنسيّة لأقوال الفرنسيّين أنّني لست فرنسيّا ،حيث ظلّت أعمالهم الرّوائيّة تدافع وتفضح كل ما يقوم به المستعمر ،وليسمع الرّأي العام والعالمي بشاعته ،وهذه اللغة الفرنسيّة وبعدهم عن وطنهم لم يمنعهم من نسيانه أو التّخلّي عن وطنيّتهم.

بالمقابل ولأسباب تاريخيّة وسياسيّة واجتماعية لم تعرف الرّواية في فترة ما قبل الاِستقلال فترة الخمسينيّات والستينيّات كتابات باللغة العربيّة إلا بعد الاِستقلال الوطنيّ. واِلتزم الكتّاب باللغة العربيّة القصص في العقد السّابع والثّامن من القرن العربي ومن بينهم :الطّاهر وطّار– عبد الحميد بن هدّوقة مرزاق بقطاش—رشيد بوجدرة.

[1] شعر المقاومة الفلسطينيّة ،حسن محمّد حسن ،مجلة الثّقافة ،الجزائر ،ع 14 أفريل ،ماي ،1973 ، ص 96.

[2] مقدمة أولى للنص الأدبي الجزائري ،عمر بوشموخة ، الجزائر نيوز ،يوم 28 مارس 2011 ، على الساعة 19:18 www.djazairess.com

و بالتالي اِستطاعت الرواية أن ترصد الواقع «**إستطاعت أن تعطي لمحات عن الواقع الجزائري في ذلك الوقت،من فقر وجهل وطموح وتطلّع إلى الأفضل عن ريق الحثّ على العلم كما في رواية : "الطّالب المنكوب" إلى جانب تصويرها الأعمال الوحشيّة للمستعمر الفرنسيّ وما ألحقه من دمار في القرى والمدن الجزائريّة**»[1] عبّرت عن ضرورة الكفاح والنّضال ضدّ المستعمر الفرنسي وإعطاء لمحة عامّة عن الحياة الاِجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة ،أمّا في فترة السّبعينيات قامت الرّواية الجزائريّة بنقد سلوك بعض الفئات من المجتمع، والخروج من المألوف «**نفهمها لطبيعة الواقع الجزائري في ظلّ ثورة التّحرير لم تكتف فقط بتمجيد الثّورة والفخر بإنجازاتها بل اِنتقدت بعض السّلبيّات، وأدانت سلوكيّات الفئات القليليّة التي تستغلّ الثّورة للمصالح الشّخصيّة**»[2] مثل رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن مدّوقة التي أشارت إلى موضوع التّأميم الزّراعيّ وظلم الاِقطاعيّين واِستغلالهم للنّاس ،ثمّ يأتي جيل الرّوائيّين الجدد فترة التّسعينيّات وما بعدها أمثال: الطاهر وطّار تتميّز أعماله بالنّزعة الإيديولوجيّة السّياسيّة في رواية "الزّلزال" الّتي تترجم واقع الثّورة الزّراعيّة ومخلّفات حرب التّحرير على مدينة قسنطينة أين تجري أحداث الرّواية فاِلتزمت بمعالجة هذا الموضوع وكيفيّة محاولة الإنسان الحفاظ على أراضيه هذه الأرض الّتي تعتبر :الوطن ،الاِنتماء ،الذّاكرة ،الماضي بالإضافة إلى رواية "اللّاز" اِلتزمت بطرح قضيّة الخلافات السّياسيّة الّتي سبقت اِندلا ع الثّورة الجزائريّة والّتي كانت من العنف والقوّة، وهي رواية ثوريّة.

ومن الرّوائيّين الجدد أيضًا: واسيني الأعرج ،أحلام مستغانمي ، أمين الزّاوي....وغيرهم.

إحتلّت أعمالهم الاِبداعيّة السّاحة الأدبيّة،حيث تطوّرت الكتابة الرّوائيّة وذلك بالخروج عن المواضيع المألوفة ،فالنّصوص الأدبيّة في مرحلة ما بعد الاِستقلال تعدّ بمثابة قفزة نوعيّة جذريّة،تستوجب منّا الوقوف عندها فهذا الأدب الملتزم يسعى إلى «**توجيه الجماهير إلى واقع اِجتماعي وأدبي أفضل لمسايرة الثّورة الاِشتراكيّة ،والخلاص الوحيد للأمّة من الجهل والمرض والتّخلّف، على حدّ تعبير محمّد مصايف في كتابه فصول في النّقد الأدبيّ الحديث**»[3]

---

[1] عالم أحلام مستغانمي الروائي ، رئيسة موسى كريزم ، دار زهران ، عمان ، ط 1 ، 2010 ، ص 46.

[2] المرجع نفسه ، ص 47.

[3] مقدمة أولى للنص الأدبي ،عمربوشموخة، الجزائرنيوز،يوم: 28مارس2011 ، الساعة19:18 . www.djazairess.com

،فالنّصوص في هذه المرحلة كانت مواكبة للنّظام الإشتراكيّ وأفضل مثال على ذلك هو رواية "الزّلزال" للطّاهر وطار، وبقدر إرتباط العمل الأدبيّ بالإلتزام بقدر ما يفاجئنا بخروجه عن المعتاد، وتكسير بعض "الطّابوهات" التي تخصّ موضوعات الجنس واللغة والدّين «**تفاجؤنا أحلام مستغانمي في سنوات السّبعينيّات من القرن المنصرم،بجرأة أدبيّة غير مسبوقة في المتن الأدبيّ الجزائريّ ،من خلال إصدارها لمجموعة شعريّة تحمل عنوانا في غاية من الجرأة :الكتابة في لحظة العُري**»[1] وهي تتضمّن نصوصا جرئيّة خارجة عن العادة وكسر ما يعرف ب"طابو" أثارت حينها جدلًا واسعًا وسط الأدباء والمثقّفين.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ النّص الرّوائيّ الجزائريّ قديمًا، إلتزم بقضايا الثّورة، والدّعوة إلى الإصلاح والتّحرّر، وذلك في مرحلة ما قبل الإستقلال، أمّا بعدها فحاولت تلك الأعمال الخروج عن المألوف، بإلتزامهم تصوير الواقع وطرح مواضيع إجتماعيّة وسياسيّة وثقافيّة، وأحيانًا أخرى كسر الطّابوهات وإستخدام وسائل فنيّة كالوصف للتّعبير عن الحالة المزرية الّتي يعيشها المجتمع.

[1] المرجع السابق

الفصل الثاني

دراسة ظاهرة الإلتزام في رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل

أولا / العنوان

1-وظائف العنوان

2-قراءة في عتبة العنوان

ثانيا/ السرد

ثالثا / الشخصيات

رابعا / المكان

خامسا / الزمان

أولا :العنوان :

يعدّ العنوان من أهمّ العتبات التي إهتمت بها الدراسات النقدية المعاصرة فمن خلاله يمكن قراءة النص الأدبي، فهو عتبة النص الأولى، والعنصر المهيمن عليه، والعنوان على أهميته أصبح علمًا مستقلا بذاته له أصوله وقواعده، سمّي ب"علم العنونة" لذلك فأي قراءة إستكشافية لابدّ أن تنطلق من العنوان. كونه يجذب القارئ، و يثير رغبته، وحماسته وتحفز فيه الإطلاع أكثر فأكثر .

وردت لفظة عنوان في المعاجم العربية بمعنى : "عَنَن: عنّ الشّيءَ يَعِنّ عنَنًا وعُنوانًا ظَهَر أمَامكَ، وعنّ يَعنّ عنَا وعُنوانًا وإعْتنّ: إعْتَرَضَ وعَرضَ"[1] أي ظهر الشّيء و بان ووَضُح .

أولى النّقاد الغرب إهتمامًا بالعنوان ومن بينهم "جيرار جينيت" في كتابه عتبات (seuils) و"شارل غريفل" وغيرهم أمّا النقاد العرب فنجد منهم مثلا "جميل حمداوي، محمد فكري الجزّار في كتابه "العنوان و سيميوطيقا الإتصال الأدبي" «**فالعنوان بمثابة بوابة الكتاب و به يعرف و يتداول العنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف و بفضله يتداول و يشار به عليه و يدل به عليه يحمل وسم كتابه و في الوقت نفسه يسمه العنوان بإيجاز يناسب البداية** » [2] ، إذن فالعنوان يفتح شهية القارئ للنص و يجذبه لتثير فيه رغبة الإكتشاف والإطلاع أكثر فأكثر.

1- وظائف العنوان :

وقد حدّد جيرار جينيت في كتابه "عتبات" وظائف للعنوان و هي كالآتي :

أ- الوظيفة التعيينية : la fonction de d'signation :

تعدّ هذه الوظيفية ضرورة مهمّة للعنوان، وبخاصة في الكتاب فبه يُعرف كما نجد أيضا تسمية طفل ما، و هو بذلك إعلان عن اِسمه و تسجيله به «**فتسمية طفل ما تعني مباركته، فمتى أعلن**

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ع ،ن، ن) ، مج 10 ، ص 310.

[2] العنوان و السيميوطيقا الإتصال الأدبي ، محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، (د ،ط) 1997 ، ص15.

عن اِسمه سيتم تسجيله به ،دون النظر إلى العلاقة الاِعتباطية الموجودة بينه و بين اِسمه،كذلك أن تسمي كتابا يعني أن تعيّنه تعنّنهُ(designer)، كما نسمّي شخصا تمامًا لهذا اِنسحب نظام التسمية على العنوان»[1] و من ثمّة لابدّ للكاتب أن يختار اِسما لكتابه ليتداوله القرّاء بينهم.

كما يرى جينيت وظيفة المطابقة هي من أهم الوظائف، بين العنوان والنص لفهم محتواه، والتعرّف عليه قبل قراءته نجد «**بأنّ وظيفة المطابقة (identification) هي من أهم الوظائف التي يمكنها أن تتجاوز بقية الوظائف، لأنها تريد أن تطابق بين عناوينها و نصوصها، غير أننا نجد بعض العناوين المراوغة خاصة السريالية منها التي لا تطابق نصوصها تماما وتحتاج إلى تأويل وحفرفي طبقاتها قصد قراءة و فهم تلويحاتها و تلميحاتها**».[2]

ب- الوظيفة الوصفية : la function descriptive :

و يسمّيها جينيت الوظيفة الإيحائية connotation، فالنّمط الموضوعاتي والنمط الخبري يتبادلان نفس الوظيفة و هي وصف النص «**التقابل الموجود بين النمطين الموضوعاتي و الخبري لا يحددان لنا تقابلا موازيا بين وظيفتين الأولى موضوعاتية و الثانية خبرية تعليقية غير أن هذين النمطين في تنافسهما واختلافهما يتبادلان نفس الوظيفة و هي وصف النص بأحد مميزاته أما موضوعاتية أو هذا الكتاب يتكلم عن (...ce livre est) و تسمى بالوظيفة الوصفية للعنوان** »[3] فهذه الوظيفة هي التي تمكننا من الولوج إلى عالم النص وكشف خباياه .

جـ- الوظيفة الإغرائية : la fonction seductive :

تعدّ الوظيفة الإغرائية من الوظائف المهمة للعنوان، فهي تُغري القارئ وتحرّك فضوله، وتدفعه للكشف عن غموضه وغرابته بطريقة جمالية وبخاصة القارئ المستهلك بتنشيطها لقدرة الشراء عنده

[1] عتبات جرار جينيت من النص إلى المناص ، عبد الحق بلعابد ، منشورات الإختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ،ط1 ، 2008 ،ص 78

[2] المرجع نفسه ، ص 79.

[3] المرجع نفسه ، ص 83.

وتحريكها لفضول القراءة فيه والقاعدة المنظمة لهذه الوظيفة قد وضعت منذ قرون في مقولة furetière «**العنوان الجيد هو أحسن سمسار للكتاب، وهذا الجمال ليس القيمة الوحيدة للعنوان ذو قيمتين ،قيمة جمالية تنشرط بوظيفته الشعرية التي يثبتها فيه الكاتب، وقيمة تجارية سلعية تنشطها الطاقة الإغرائية التي تدفع بفضول القرّاء للكشف عن غموضه و غرابته**»[1] . أي أنّ العنوان لديه قيمة جمالية من خلال اللغة التي يستعملها الكاتب، وقيمة إغرائية لجذب القرّاء، وفك رموز الغموض فيه عن طريق الإطلاع على الكتاب و بالتالي شراءه .

2- قراءة في عتبة العنوان:

يبدو أنّ المتأمّل في عنوان الرّواية أربعون عامًا في اِنتظار اِيزابيل للرّوائي سعيد خطيبي، يرى أنّ أهمّ ما يميّز هذا العنوان هو الطّول، مستعملًا مدّة زمنيّة وهي المدّة التي قضاها جوزيف رينشار في مدينة بوسعادة رفقة صديقه سليمان وقد أدركته شيخوخته وهرم جسمه، ولم يجد بديلًا ما يتمسّك لسدّ فراغه سوى ممارسة الرّسم ،وذلك بتحويل مخطوط "إيزابيل اِيبرهارت" إلى لوحات فنيّة .فالعنوان لم يضعه الرّوائي اِعتباطيًّا بل لغرض جذب المتلقّي وإثارة فضوله من أجل فكّ رموزه الغامضة .ونرى من خلال العنوان ،دلالات غزيرة وفضاءً سيميائيًّا يحمل العديد من المعاني .

أ- أربعون :

وقد اِلتزم "سعيد خطيبي" بالعدد "أربعون" وهو لفظ يدلّ على العقد، وله بعد ديني في الثقافة العربية الإسلامية، فعمر الرّسالة المحمّديّة ،كذلك نجد آيات من القرآن الكريم تحمل هذا العدد،ونذكر كمثال على ذلك سنة الأربعين التي ذهب فيها سيّدنا موسى عليه السّلام ليكلّم قومه، ويوصيه بطاعة الله التي كلّف بها ومن ذلك أيضًا ذهاب سيّدنا موسى عليه السّلام إلى جبل الطّور ليكلّم الله تعالى ويعطيه التّوراة ،وأمره سبحانه وتعالى بصومه أربعين يومًا لقوله تعالى :« **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِين لَيْلَةً ثُمَّ اِتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**»[2] .كذلك نجد قصّة بني إسرائيل ،حيث كتب لهم الله تعالى بعد عصيانهم لقرار موسى تيهانًا أربعين سنة في الأرض ،وهو ما تلقّاه موسى

[1] المرجع السابق ، ص 85.

[2] سورة البقرة ،[الآية 51] ،ص8.

عليه السّلام بحقّ أولئك البشر لقوله تعالى : «**فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِين**" [1] وقوله أيضًا :"**وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ المُسْلِمِينَ**»[2] أي أن يُحسن الإنسان إلى والديه حتّى إذا بلغ سنّ الأربعين،وهو السّن الذي يبلغ فيه شدّته وقوّته البدنيّة والعقليّة، ويشكر الله على نعمه عليه، ويصلح له في ذريّته ودينه.

إذًا اِلتزم سعيد خطيبي بذكر العدد (أربعون) في عمل العديد من الدّلالات ،فهي المدّة التي قضاها جوزيف رينشار في مدينة بوسعادة مع صديقه سليمان ،وهو يحاور نفسه دائمًا ، مُحاولاً وصف عيشه في الجزائر لقوله : «**الآن أعتقد أنّي لم أفهم الشّيء الكثير ممّا يحدث في هذا البلد ،فقد عشت فيه أربعين عامًا بما يكفي لأفهم أحشاءه وما خلق أحشاءه وما يكفي لأدرك ميوله ومزاجاته لكن في النّهاية وجدت نفسي عاجزًا عن تفسير ما يدور حولي**»[3] .

وقوله أيضًا "عن مدى اِرتباط هذا العدد بالمدّة التي مكّنها في الجزائر ، فالأربعون عامًا التي قضيتها في المدينة لم تنفعني في رؤية الأشياء على حقيقتها"[4] فهذه المدّة التي قضاها في الجزائر وعاشها اِقتضى فيها آثار وأعمال إيزابيل إيبرهارت ومعرفة أسرارها في قوله :« **اِكتشفت إيزابيل اِيبرهارت بعد أربعين يومًا من قراري بالبقاء هنا ثمّ أكملت قرابة أربعين عامًا أخرى أقرأها وعينها وأحاول تخيّل حياتها لو عاشت بجنونها وشغفها حتّى الأربعين**»[5] .

---

[1] سورة المائدة ،[الآية 26] ،ص112.

[2] سورة الأحقاف ،ا[لآية 15] ،ص504.

[3] رواية أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل ،سعيد خطيبي ،منشورات ضفاف والاِختلاف ،لبنان ،ط1 ،2016 ،ص94.

[4] المصدر نفسه ، ص 95 .

[5] المصدر نفسه ، ص ن .

تعلّق هذا العدد بشخصيّة الرّاوي "جوزيف" وحياته ،وهو يعاني من التّعاسة والألم طوال تلك الفترة وذلك حين قال :« **أربعون عامًا قضيتها في التّسكّع في مدينة تتنكر لي**»[1] .

بالإضافة إلى أنّ هذا العدد "أربعون" اِرتبط اِرتباطًا وثيقًا بما تطرّقنا إليه من دلالات في القرآن الكريم ،بحيث ورد بما حدث مع الأنبياء وذلك في قوله : «**أربعون يومًا قضاها نوح في تأمّل الطّوفان ،زادتها أربعين عامًا في مصاحبة الغرباء ومسح آثار طوفاني بلا فائدة ،أربعون يومًا تاه فيها أنبياء في الصّحراء ، وأنا أربعون عامًا عشتها بعدهم في عدّة حبّات الرّمل التي عضّت حماقاتي ، أربعون عامًا حكم فيها النّبيّ سليمان أرض الدّيانات وأنا عشتها مثلها محكومًا عليّ بالوسواس**»[2] من خلال هذا الكلام يتّضح أنّ الكاتب مطلّع على الثّقافة الإسلاميّة .

أمّا في ختام الرّواية كشف لنا جوزيف عن قرب رحيله من الجزائر وذلك بعد أربعين سنة من خيبة وهزيمة، وفقدان للأمل من البقاء لقوله :« **كُتِبَ عليَّ التّيه كما كُتب أنبياء من قبلي ،أربعون عامًا قضيتها في الجنوب والسّنة الجديدة بدأت الآن تلوح لي بمرارة من الشّمال**»[3] هذه هي أهمّ الإشارات الموجودة في المتن الرّوائيّ المتضمّنة للعدد أربعون، فهي أربعة عقود من القرن الماضي التي عشها البطل جوزيف في جنوب الجزائر (مدينة بوسعادة)، بجميع تقلّباتها مع خيبة أمل من البقاء،وخوف وإحباط نتيجة الأوضاع التي أثّرت فيه في تلك الفترة وأجبرته على المغادرة .

ب–لفظ العام:

جاء في عنوان الرّواية لفظة "عامًا" وقد جاء منصوب لأنّه تمييز عددي والعام يرمز إلى الخير، أمّا السّنة ترمز إلى المصائب. فقد كان العرب قديمًا يطلقون لفظ "السّنة" على أيّام الشّدة، والجدب، والعام على أيّام الرّخاء والعطاء والفرح، وفي ذلك العام الذي ولد فيه سيّدنا محمّد (ص) سمّي "عام الفيل" الذي لم يشهد مثله في الكون وهو عام البركة والخير والبشرى للنّاس أجمعين ،ومن ذلك أيضًا قوله تعالى :« **مِن بعدِ ذلك عَامٌ فِيه يُغاثُ النّاسُ و فِيهِ يَعْصِرُونَ** » [4] حيث اِقترن لفظ العام

[1] الرواية ، ص 94.

[2] المصدر نفسه ، ص،95.

[3] المصدر نفسه ، ص 151.

[4] سورة يوسف ،ا[لآية49]، ص 241.

بالغيث وقبلها سنين بالعمل والجدّ لمواجهة القحط لقوله تعالى :« **قُلْ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا**»[1] صرّح الرّاوي من خلال العنوان بأنّه قضى هذه المدّة الطّويلة في اِنتظار إيزابيل ايبرهارت ، التي تثير ذهن القارئ، وتجعله يفكّر بأنّ المتن الرّوائي فكرته تقوم على إيزابيل والصّبر الشّديد للقائها، وإيجادها ولكن في أثناء تصفّح الرّواية نجد المفارقة تمامًا. و هي لم تذكر إلاّ قليلاً في الرّواية إحدى عشر مرّة ،بحيث نجدها مجرّد علاقة اِفتراضيّة ذهنيّة للرّوائي فحسب.

ج–في اِنتظار: بالنّسبة لحرف الجرّ "في" جاء بمعنى التّعليل ،بِاعتباره إجابة عن السّؤال مثلًا : لماذا مكثت أربعون عامًا؟ فنجيب بالقول : "في اِنتظار إيزابيل" أي تعليل اِنتظاره، وفي هذا الموضع جاء بمعنى الأمل، وترقّب المجيء والعودة لكنّه يربط الفعل بالزّمن من المحدّد له وهو أربعون عامًا، ونلاحظ التّعلّق الشّديد مع الأمل، فهذه المدّة التي قضاها جوزيف تتضمّن التّعاسة، والعذاب والألم ،وبخاصّة عند تعبيره عن نفسه بقوله :« **شيخ في السّبعين مثلي ،خاض حربين ،أحبّ ناسًا وكره آخرين، كان يجب أن يكون في مكان يليق بعجزه**»[2] ،واِنتظاره هذا مرتبط بالأمل والصّبر على كل الظّروف المحيطة به وذلك بقوله :« **سأصبر قليلًا و أتبيّن مصيري**»[3] وحين نفاذ صبره من الاِنتظار أحيانًا أخرى لقوله :« **فالاِنتظار بات أسوء من الفاجعة**»[4] .

د– إيزابيل: هو اِسم علم أعجمي، وقد أشتهرت به ملكة إنجلترا، وإذا ربطنا مفردات العنوان وجدنا أنّ الرّوائيّ أعطاها مكانة الملكة في قلبه ومدى تعلّقه بها وهو ما يؤكّده لنا الرّاوي في قوله : «**أنا لست أعرف تحديدًا هل أحببت نصوصها وفقط أم أحببتها هي كإمرأة**»[5]

« **Ysable** وبالإنجليزيّة **ISABEL** ومعناه **الموهوبة لخدمة الرّب ،أصل الاِسم العبري "إيزيفيل" أي :ما أعظم الله ،وهو مركّب من "إيزيه" تدلّ على النّداء والتّعجّب ومن "فيل" السّمية بمعنى "البعل :الرّب" أو"ايل :الرّب" بالعبريّة**»[1] والاِسم هو تحويل للاِسم إليزابيث.

[1] سورة يوسف ،[الآية 47] ،ص 240.
[2] الرّواية ،ص17.
[3] المصدر نفسه ،ص 108.
[4] المصدر نفسه ،ص68.
[5] المصدر نفسه ،ص23.

كما تعني أيضًا :« **"اللّون الرّمادي" وهو مشتقّ من العبريّة معناه "أقسم بالله"**[1] »

إذن أصل كلمة اِيزابيل هو من اللّغة العبريّة القديمة ولا يزال متداولًا بين النّاس.

وعليه فإنّ اِيزابيل حضرت كتميّة أساسيّة في العنوان حتّى أنّ القارئ والمتلقّي يظنّ بأنّ المتن الرّوائيّ ككلّ مرتبط بها ،وبأحداثها من البداية إلى النّهاية، لكن جاءت بشكل مقتطفات ذكرت فيها اِيزابيل ،وقد حصرها الرّاوي في إحدى عشر قصّة من محتوى الرّواية ككلّ على غرار القصص الأخرى التي أوردها الكاتب منها قصّة إيزابيل ولقائها مع "لالّة فاطمة شيخة الزّاوية الرّوحانيّة" في قوله : «**هي مدينة منقلبة على محبّيها تمامًا كما فعلت مع اِيزابيل التي كانت تدفئ قلبها بلقاءاتها الحميميّة مع الشّيخة لالّة فاطمة**»[2] ،إذًا فهذه الأخيرة هي البطلة الغائبة ، لأنّ الشّخصيّة المحوريّة هو الفرنسي جوزيف رينشار وقد اِلتزم سعيد خطيبي بهذه الشّخصيّة كونها شخصيّة تاريخيّة حقيقيّة عاشت في صحراء الجزائر وعرفت خباياه، ومن خلال مخطوطها اِستكشف مناطق لم يطّلع عليها . إذًن يتّضح من خلال العنوان أنّ أربعون عامًا التي مكث فيها جوزيف في صحراء الجزائر وإصابته بالإحباط والخيبة طوال تلك الفترة، كان فيها على أمل مجيء اِيزابيل وهي الأمل، الذي سيخرجه من حالته النّفسيّة، ويُعيد الحرية للجزائر ،و يبعدها عن أزمتها عن أزمتها، وقد اِستعمله لغرض الإغراء وجذب الاِنتباه.

ثانيا– السرد:

يعدّ السّرد العربي من أقدم النّصوص التي وصلتنا عن العرب ،فهو خزّان الذّاكرة الجماعيّة بآلامها و آمالها .فالسّرد هو «**الكيفيّة التي تروى بها القصّة عن طريق قناة الرّاوي، والمرويّ له والبعض الآخر متعلّق بالقصّة ذاتها**»[3] قد تكون الرّواية مثلاً تروى على حسب الأحداث بمعنى متعلّق بالقصّة ،وقد تكون على لسان الرّاوي أو البطل ،«**فالسّرد هو عرض الحدث أو سلسلة**

[1] قاموس معاني الأسماء www .almaany .com ، يوم 2020\2\22 ، على الساعة ،21:15 .

[2] الرواية ، ص 112.

[3] – بنية النص السردي ،من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص 45.

أحداث متتابعة أو أخبار واقعية أو خيالية بواسطة اللغة و كل سرد يشترط حدثًا و شخصيات تنشط ضمن زمان و مكان معيّن بواسطة سارد ينقل كل ذلك الى السامع أو القارئ »[1].

اِعتمد سعيد خطيبي في الرواية على السرد، ولكن بتقنيات حديثة تخلو من السرد الكلاسيكي، كأسلوب الاستطراد، وعدم ترابط القصص والمحكيات والإسترجاعات بكثرة مثل قول سليمان «**كنت أحبّ أن أقرا لها ليلًا وأن أمضغ خبزا و قليلًا من جبنة الكونتي** »[2] و قوله أيضا «**في ذلك اليوم الدافئ على غير العادة شهر جانفي، كانت ايزابيل تتكئ على الحائط في الزاوية القادرية جنوب البلد تغطي رأسها بقلنسوة البرنوس، تخفض البصر و تترجم شفويا رسالة من الفرنسية للعربية لتاجر شاب يدعى عبد الله من مدينة قُمار**»[3].

كما اِعتمد على الإستباقات، حيث اِستبق البطل أحداثًا من المحتمل وقوعها كما يمكن لها أن لا تقع وذلك من خلال ما يعايشه من اضطرابات و قلقٍ وخوف،ممّا ستؤول إليه البلاد بعد أيام أو شهور أو سنوات ،في قوله : «**ويكتبون سيرة لي غير سيرتي الحقيقية ،سيقولون مثلا أنني كنت صديقا للمناضلين، محمد بوضياف، و عبّان رمضان، و أنني ساعدتهما من الفرار من أعين الشرطة ، وجنّبتهما السّجن أكثر من مرّة و أنني كنت نصيرًا للجزائر المستقلّة ،عدوًا لفرنسا الكولونيالية و لجيشها الزّاحف، و ربّما سيحرّفون اسمي من جوزيف إلى "يوسف"**»[4] .

عمد سعيد خطيبي أيضا إلى توظيف تقنية جديدة في السرد، كسر من خلالها الثالوث المحرم كالجنس و الدين في قوله :« **جوزيف صوت آذان الفجر وصلني خافتًا متذبذبًا و رخوًا يحثّ على الكسل لا على الاستيقاظ** »[5] و قوله أيضا: « **رسمت لوحة لمشهد الحجّاج وهم يطوفون**

[1] نظريّة البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،لبنان ،ط 3 ،1985 ص122.

[2] الرواية ،ص 25.

[3] المصدر نفسه ،ص29 .

[4] المصدر نفسه ، ص 12.

[5] المصدر نفسه ، ص 19.

حول البيت الحرام لم تعجبني فرميتها»[1] . جوزيف إعتنق الإسلام لكنّه في قرارة نفسه ليس راضٍ ولا مقتنعًا به. كذلك الجنس في قول سليمان :« **الرّجلة ليست في حجم القضيب** »[2].

وظّف أيضا التّراث بأنواعه المختلفة ،و بخاصة الأمثال الشعبية و التي كانت معظمها على لسان سليمان صديق جوزيف منها قوله:« **ما يحس بالجمرة غير اللّي عافس عليها**»[3] و قوله أيضا: «**اللّي فات مات** »[4].

اِلتزم سعيد خطيبي بتقنية السّرد الحديثة ليس فقط لغرض عرض أو حكاية قصّة، وإنّما أيضًا لعرض وقائع وأحداث تاريخيّة لوطنه مثل تحدّثه عن الاِستعمار الفرنسي ،وذكر أحداث وشخصيات واقعيّة مثل:« **كنت صديقًا للمناضلين، محمّد بوضياف، وعبّان رمضان**»،"كنت نصرًا للجزائر المستقلّةوعدوًّا لفرنسا"[5] فقد خرج من عباءة الرّواية التّقليديّة ليشكّل طرقًا جديدة ،مسّت الجانب اللّغوي ،فمثلًا الرّواية اِستعمل فيها اللّهجة العاميّة «**يا ناس...حاب يقتلني...حاب يقتلني** » ![6] «**الحياة هانية والنّاس هايجة** » ![7].

يمكن القول أنّ سعيد خطيبي أبدع في اِستخدام السّرد، وتقنياته بحيث أخرجه في قالب يخدم موضوع الرّواية، ويتماشى مع العصر.

خامسا– الشّخصيات:

إنّ الشّخصيّة عبارة عن إنسان أو كائن بشري، والإنسان هو أساس الحياة والكون، من هنا تتّضح لنا أهميّة توظيف الشّخصيّات في العمل الرّوائي، ومن خلال حضورها في الرّواية تكون بمثابة

[1] الرواية ، ص 36.
[2] المصدر نفسه ، ص 42.
[3] المصدر نفسه ، ص 37.
[4] المصدر نفسه ، ص 156.
[5] المصدر نفسه ، ص 12.
[6] المصدر نفسه، ص 35.
[7] المصدر نفسه ، ص 36.

المرأة العاكسة التي يرى فيها القارئ نفسه بوضوح، ومن خلال دراستنا لرواية "أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل" يتبيّن لنا أنّه وظّف العديد من الشّخصيّات المتنوّعة و المثيرة والملتزمة ويمكن تقسيمها إلى:

1- شخصيّة رئيسيّة (محوريّة):

يقوم هذا النّوع من الشّخصيات بدور بارز ومهمّ، والتي تكون أكثر ظهورًا أو اِشعاعًا في الرّواية أكثر من الشّخصيّات الأخرى، حيث تعدّ الشّخصيّات الرئيسيّة مصدر الأحداث، ذلك أنّها تحدّد الدّور الذي يقوم به الحدث من تحديد فعاليّة الشّخصيّة و سمّيت أيضًا بالشّخصيّة المحوريّة «**بِاعتبار أنّه شخص محور يكون مركز الحدث و معه شخصيّات أخرى تساعده ،وتشاركه الحدث**"[1]. أي أنّها شخصيّة فنيّة تتحكّم في أحداث الرّواية و المتعلّقة بها فعندما يتغيّر الحدث في الرّواية ،يتغيّر موقف الشّخصيّة الرئيسيّة ،هي قويّة و فعّالة تتحرّك و تنمو وفق قدرتها و إرادتها.

أ- جوزيف:

هي الشّخصيّة الأساس التي تمحورت عليها الرّواية ،حيث تعدّ مصدر الأحداث ،فهي الأكثر حضورًا منذ بداية الرّواية حتّى نهايتها.

شخصيّة جوزيف شخصيّة ملتزمة بقضايا الجزائر وإن لم يكن بلده الأصلي فقد عاش فيه فترة طويلة، وكان محبًّا مضحيًّا له ،اِستقرّ في الجزائر وناضل في صفوف جيش التّحرير، يقول :« **كنت صديقًا للمناضلين :محمّد بوضياف ،وعبّان رمضان ،وأنّني ساعدتهما في الفرار من أعين الشّرطة و جنّبتهما السّجن**»[2] أمضى نصف حياته كاملة في الجزائر شاهدًا على مراحلها التّاريخيّة بِايجابيّاتها و سلبيّاتها معتنقا للإسلام «**يوما اِقتنعت الإسلام ،و نطقت بالشّهادتين ،في المسجد الكبير،أدّيت مناسك الحجّ رفقة سليمان**»[3] متكلّمًا للّغة العربيّة ،«**تعلّمت العربيّة ،على يد الشّيخ البردعي، في المسجد الكبير**»[4] شخصيّة جوزيف شخصيّة متشائمة وبخاصّة بعد أن أدركته

[1] الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ ،محمد علي سلامة ،دار الوفاء لدينا، مصر، ط 1 ،2007 ، ص27.

[2] الرواية ، ص 11.

[3] المصدر نفسه ، ص 12.

[4] المصدر نفسه ، ص 12 .

أدركته مراحل الشّيخوخة، لم يجد ما يعينه، ما يتشبّث به ليقاوم ذلك سوى ممارسة الرّسم والتّفاعل مع كتابات إيزابيل الرّحّالة التي كانت أيضًا تتشارك معه في حبّه للجزائر، والتي يعدّها جوزيف نسخة عنه، فعند اِكتشافه لشخصيّة إيزابيل اِكتشف نفسه، واِكتشف روح التّوازن و الاِنسجام في شخصيّته كذلك قام جوزيف بِاسترجاع شخصيّات تاريخيّة أبرزها "هواري بومدين" في قوله :« **تابعت خطابات هواري بومدين الصّاخبة**»[1] جوزيف وإن لم يكن من أصول جزائريّة مع ذلك مثل الجزائر عاش كان حاضرًا في متغيّراتها وفتراتها في قوله :« **شهدت الحرب العالميّة الثّانية ،صافحت الجنرال ديغول ،عرفت حرب الجزائر ، مظاهرات 8 ماي 1945 ،تابعت حرب إسرائيل عام 1967**»[2] **و** «**كنت نصيرًا للجزائر المستقلّة عدوًّا لفرنسا**»[3] .

جسّد سعيد خطيبي صفات الشّخص القوي في الحرب و المحبّ للجزائر شخصيّة (جوزيف) في قوله :« **أنا عسكريّ و العسكريّ لا يرجع للوراء**»[4] كما تطرّق أيضًا إلى وصف النّاس والأماكن والأبنية، والأحداث الصّغيرة والكبيرة من مساجد و مقاهي وبيوت وغيرها «**أجلس في مقهى شالون كتب عليها بخط أخضر عريض مقهى السّعادة**»[5] و قوله :« **زرت عين الصّفراء كان الفصل شتاء لسعتني برودته الجافّة بمجرّد نزولي من الحافلة**»[6] .

فكان سعيد خطيبي يريد أن يعرّف بالجزائر للغرباء بالتّحديد، ويدعوهم لحبّها و العيش فيها على الرّغم من قساوة صحرائها، وصعوبة ظروفها ،كما ظهر ذلك في شخصيّة جوزيف الرّجل الغريب الذي عاش نصف حياته أو بالأحرى كلّها في الجزائر بظروفها السّيئة، والجيّدة متخلّيا عن فرنسا، وهنا يظهر اِلتزامه .

[1] الرواية ، ص 30.
[2] المصدر نفسه ، ص ن .
[3] المصدر نفسه ، ص ن .
[4] المصدر نفسه ، ص 23.
[5] المصدر نفسه ، ص 24.
[6] المصدر نفسه ، ص 27.

2- الشّخصيّات الغائبة في الرّواية:

فالغياب لا يعني العدم إنّما يعني « **في الحقيقة ،الحضور الذي كان ،أو الحضور الكائن بمعنى يصبح الغياب حضورًا و هذه هي متعة الغياب**»[1] فالشّخصية الغائبة تضفي على نصّ الرّواية طابع الجمال و التّطلّع .

أ- شخصيّة إيزابيل:

هي الشّخصيّة الغائبة في الرّواية، بطلة العنوان لكنّنا عندما نقرأ الرّواية فأنّنا نتعرّف على شخصيّتها من خلال حديث جوزيف عنها واِهتمامه الزّائد بها ،حيث رسم يوميّاتها «**سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميّات إيزابيل إيبرهارت**»[2] هي رحّالة سويسريّة عاشت نصف حياتها في صحراء الجزائر، تختلف الرّوايات عن سبب مجيئها إلى الجزائر في بداية القرن العشرين، وإلى العرب عمومًا ولا علاقة لها بجوزيف سوى أنّها تاهت مثله في الجنوب، وقبله بعقود حتّى جرفها سيل هائج ذات يوم سنة 1904 قرب مدينة عين الصّفراء، تّلبس برنوسًا كعادتها متنكّرة في زيّ شريف بدوي اِسمه سي محمود .كانت بنتًا مسترجلة، تضاجع الذّكر والأنثى ،تلبس هويّتين في جسد اِمرأة .كما أنّ شخصيّة اِيزابيل، تشبه إلى حدّ كبير شخصيّة جوزيف، عاشت في صحراء الجزائر وعشقتها، يقول جوزيف : « **إيزابيل كانت صورة مؤنّثة منّي** »[3] . فكلاهما يتقاطعان في العديد من المستويات ،فالإثنين جاءا من أوروبا ليعيشا في صحراء الجزائر، وكليهما اِعتنقا الإسلام ،فيحاول جوزيف أن يكتب نصّا عن يومياته يشبه النص الذي كتبته هي ،نصّا يحكي فيه عن أربعين عامًا عاشها و هو في حوار دائم مع ما كتبته .

ب- الشّخصيّة الثّانويّة:

الشخصيّة الثّانويّة ليست بنفس الأهميّة التي تحتوي عليها الشّخصيّة البطلة إلّا أنّها عامل مهمّ ومحرّك لها ،فبفضلها نتعرّف على صفات البطل الخفيّة ،فهي التي « **لا يوجّه لها الكاتب اِهتمامًا مماثلًا لاِهتمامه بالبطل، ذلك أنّها تؤدّي عملًا ثم تنصرف من ساحة القصّة أو تبقى فيها**

[1] النظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، ص306.
[2] الرواية ، ص 11.
[3] المصدر نفسه ، ص 26.

ولكنّها لا تتفاعل مع الحوادث تفاعلا يجعلها تطفوا على سطح القصة إلا أنها ضرورية للقصة لأنها تطرح الوجه المقابل للبطل أو توضح بعض صفاته أو تقدم له شيئا من المساعدة"[1] بالإضافة إلى أنها « **هي التي تضيء الجوانب الخفيّة للشخصية الرئيسية و تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية، و تعديل سلوكها وإمّا تبعًا لها تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها، و تكشف عن أبعادها**»[2] فهي إذن مكملة و كاشفة عن الجوانب الخفيّة للشّخصية المحورية .

أمّا عن دور الشخصيات الثانوية في تصعيد الحدث، و صنع الحبكة «**فهو لا يقل اهمية عن دور الشخصية الرئيسية، إنّها شخصيات متناثرة في كل رواية تساعد الشخصية الرئيسية في آداء مهمتها و إبراز الحدث**»[3] تتشابه الشخصية الرئيسية مع الشخصية الثانوية في تصعيد الحدث و صنع الحبكة .

ب– سليمان:

اسم عربي لا يخلو من دلالة في أجواء كهذه فهو اسم الرّجل الذي تزوّجته اِيزابيل، وهو اسم الرجل الذي تبنّاه الرسام "اِتيان ديني" عند حلوله "ببوسعادة"،وهو رفيق جوزيف و صاحبه الذي حمل معه السلاح في الحرب العالمية الثانية «**تعرفت عليه جنديا في الكتيبة التي كنت أقودها سنوات الحرب العالمية الثانية**» [4] ثم عاد ليلتقيه سنة 1951 في بوسعادة لينخرط سويّا في حرب التحرير و يعيشا سويّا بعد الإستقلال، سليمان الذي يروي سيرته عبر جوزيف مطرودا من قبيلته يرافق الشخصية البطلة في حياته كاملة، ويعتمد عليه هذا الأخير في كل شيء، سليمان الذي نراه واقفا في إطار باب بين غرفتين أو يأتي صوته من حجرة ثانية، ليوقظ جوزيف النائم، يمثّل بُعدًا من الثقافة الشعبية الجزائرية التي تظهر في بعض أقواله و يعرف اللغة العربية، و يتكلّم و يكتب بالعاميّة

[1] الأدب في قصص و روايات غالب حمزة أبو الفرج ، غريد الشيخ ، قناديل للتأليف و الترجمة والنشر ، مصر ، ط1 ، 2004 ، ص 392.

[2] جماليات السرد في الخطاب الروائي غسان كنفاني ، صبحية عودة زعرب ، دار مجدلاوي ، عمان ،ط 1 ، 2006، ص 132.

[3] المرجع نفسه ، ص 132.

[4] الرواية، ص 50.

«**حكايتك ينقصها الملح**»[1] «**ربّي يهديك خير الكلام هو كلام أجدادنا** »[2] . « **اللّي خلق ما يضيّع** »[3] ، « **ما يحسّ بالجمرة غير اللّي عافس عليها**»[4] ، تأتي هذه الجمل لتعبّر عن ثقافة أهله تلاشت في الجزائر ما بعد الاستقلال. العامية هنا ليست اداة إيديولوجية بالعكس فهي إمتداد طبيعي لوسيلة تعبير شخص ما .أظهر سعيد خطيبي ثقافة الجزائريين و بعض من الآداب الشّعبية الجزائرية وذلك على لسان سليمان .

3-الشخصيات الهامشية :

وهي الشخصيات المكملة ذات الأدوار الصغيرة إقتضتها طبيعة تطور الأحداث حيث أنها قامت بملء الفراغات و آداء دور الفصل الفنّي بين عناصر الرواية و قد جاء على لسان السارد وصف بعض صفات هذه الشخصية منها :

أ- زوينة :

هي الخادمة في بيت جوزيف و سليمان، وظّفها جوزيف لتقوم بتنظيف بيته فقد كانت سابقا تنظف الصحون في المستشفى، وتعمل يوما واحدا في الأسبوع في بيت جوزيف مقابل 250 دينارا في الشهر .

إمرأة محترمة تعمل لتحصل على قوت أولادها الثلاث و التي قال فيها سليمان « **المراة حابة تعمل على شرها** »[5] فالمرأة تتجاوز الأربعين، تمثل اِحترام المرأة الجزائرية المستورة، و يقدّم صفاتها على لسان جوزيف « **تأتي إلى البيت دائما مرتدية جلابة زرقاء باهتة و طويلة لا تغيرها، و خمارا أسود أو أبيض يغطي شعرها وفوقها تلبس ملحفة بيضاء تغطي كامل جسدها لا شيء يظهر من مفاتنها ولا تضع ماكياجا على وجهها و هي تخجل ...**» [6]

[1] الرواية ، ص 15.
[2] المصدر نفسه ، ص 15 .
[3] المصدر نفسه ، ص 106.
[4] المصدر نفسه ، ص 37.
[5] المصدر نفسه ، ص ن .
[6] المصدر نفسه ، ص 38.

ب– عبد الكريم طيطي :

شاب في العشرين سيّئ السّلوك يتحرش بالفتيات اللاّتي ترتدين الفساتين القصيرة يعمل في السوق السوداء « **يذهب إلى السوق المغطاة يشتري صندوق خضر أو ثلاثة من تجار الجملة ويعيد بيعها في الحي بالتجزئة** »[1] و هذا نوع ما يعكس الواقع الجزائري .

ج– لالة سعدية:

الجارة التي يشبهها جوزيف بشخصية إيزابيل. أرملة مات زوجها عبد الرحمان سنوات حرب التحرير، بسبب فخ نصبه له خونة كانوا يعملون لصالح الاستعمار الفرنسي، وهي المرأة التي يتهمها نساء الحي بالسحر، والشعوذة لتعطيل زواج بناتهنّ « **تصنع عقاقير لمنع بنات الحي من الزواج أيضا أو الإنجاب**»[2] وهذه أيضا صورة أبداها سعيد خطيبي عن المرأة الجزائرية الأرملة وطُرق تحصيلها لقوتها و قوت عيالها .

رابعا – المكان:

يعدّ المكان الحيّز الذي يعيش فيه الإنسان، ولا يمكن أن يستغني عنه بِاعتباره العلم الذي يتطوّر فيه، وقد حظي بِاهتمام الكثير من الدّارسين والمفكّرين كونه الفضاء الذي تجري فيه أحداث الرّواية،ومن أهمّ الأساسيّات التي يقوم عليها العمل الأدبيّ الفنّي، بما يحمله من قيم جماليّة فبدونه لا يمكن لباقي العناصر السّرديّة الأخرى أن تؤدّي دورها ،وبِاعتبار الرّواية جنسًا أدبيًّا يمثّل هذه الظّاهرة، وبات المكان مفتاحًا يتمكّن من خلاله الرّوائي عرض مختلف أفكاره.

أ– لغة:

جاء في لسان العرب « **اَلْمَوْضِعْ أَمْكِنَةٌ وَأَمَاكِنُ تَوَهَّمُوا المِيمَ أَصْلًا :حَتَّى قَالُوا :تَمَكَّنَ فِي المَكَانِ وَقَبْلَ المِيمِ فِي المَكَانِ أَصْلٌ كَأَنَّهُ مِنَ التَّمَكُّنِ دُونَ الكَوْنِ ،وَالمَكَنَةُ المَنْزِلَةُ :يُقَالُ**

[1] الرواية ، ص 40.

[2] المصدر نفسه ، ص 44.

:**فُلَانٌ مَكَّنِيٌّ عِنْدَ فُلَانْ بَيْنَ المَكَانَةِ وَالمَوْضِعُ**»[1] من خلال هذا التّعريف نرى بأنّ المكان هو الذي يعيش فيه الإنسان ويتحرّك فيه ويؤدّي فيه مختلف الأدوار في حياته.

ب- إصطلاحًا:

أجمع الدّارسون على أنّ المكان عنصر مهمّ جدًّا في تكوين الخطاب الرّوائي ولا يمكن الإستغناء عنه ويعرّف بأنّه : «**هو الذي يؤسّس للحكي لأنّه يجعل القصّة المتخيّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة**»[2] فالمكان بذلك هو الذي يضفي على الأحداث الخياليّة صورًا حقيقيّة مماثلة للواقع أكثر قربًا منه ومن القارئ أيضًا.

ج- مدينة بوسعادة:

من بين الأمكنة التي قامت بدور فعّال في رواية "أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل "هي مدينة "بوسعادة" ،حيث أخذت حيّزًا كبيرًا في الرّواية ،كما أنّها تدور فيها الأحداث من البداية إلى النّهاية على غرار مدينتي (عين الصّفراء) و(واد السّوف)،ويتجلّى هذا المجال الجغرافي بسمته الصّحراويّة والصّحراء هنا تمثّل حالة من الإحباط والتّشتّت والضّياع، واِلتزم سعيد خطيبي بوصف أحياءها وشوارعها ،وصفًا رائعًا« **بوسعادة الملكة الصّهباء ،العروسة بالتّلال البنفسجيّة كانت ترتدي حدائقًا معتّمة وتنام بعشق على الحافّة المنحدرة بالوادي ،حيث ينساب الماء على الحجارة البيضاء والورديّة ،بِانحناء تتقاعس حلم على الجدران التّرابيّة الصّغيرة ،كانت أشجار اللّوز تذرف دموعها البيضاء بفعل مداعبة الرّيح لها...عطرها الفوّاح كان يعلّق في الفتور الرّخو للجوّ محدثًا كآبة رائعة**»[3] نجد أنّ الرّوائي يصفها وصفًا مخياليًّا، ويدعو بصفة غير مباشرة لزيارتها والتّعرّف عليها خاصّة الغرب، فعلى الرّغم من أنّه عاش في فرنسا إلّا أنّه أحبّ مدينة بوسعادة، وأحبّ الجنوب الجزائري، وهو ما يتقاطع مع شخصيّة اِيزابيل أيضًا التي عاشت في عين الصّفراء وجابت الجنوب الجزائريّ،وفي موضع آخر نجد وصفًا واقعيًّا للمدينة في قوله : « **لو عادت إيزابيل إلى بوسعادة اليوم لكتبت شيئًا مختلفًا ،فهذه المدينة صارت ملكة صهباء ،منتهكة الشّرف ،تنام على حافّة**

[1] – لسان العرب ،اِبن منظور ،مادّة (م ،ك ،ن) ،مج14 ،ص113.

[2] بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبيّ ،حميد لحمداني ، ص 41.

[3] الرواية،ص 89.

الوادي كي لا تنظر إلى نفسها ،ولا ينظر إليها المارّون ،أشجار اللّوز فيها يبست أوراقها ، وسُلب منها عطرها، وهي الآن تقف على بعد أمتار قليلة من الهاوية ،تخاف أن تستيقظ يومًا وتجد نفسها مدينة مخصيّة بلا فحولة»[1]. نلاحظ من خلال هذين الوصفين أنّ المدينة لم تعد تلك التي قرأ عنها جوزيف في مخطوط اِيزابيل، وقد اِختلفت كثيرًا عمّا كانت عليه «**تركت الواحة التي اِرتبطت بها طويلًا واِرتفعت فيها مبانٍ ومنازل وتوسّع فيها الإسمنت ورائحة الحديد الصّدا واِرتفع فيها الصّخب»**[2] وهذا راجع للتّطوّر الحضاري الذي أفسد جمالها وبهائها الخلّاب ، وتارة نجده يعرّف بها لقوله :« **تأسّست زمن الفاطميّين ،أقام فيها أمازيغ وهلاليّون، جاؤوا من الشّام واِحتضنت الفارني من الأندلس ،مال قلبها للوليّين الصّالحين سيدي سليمان، وسيدي تامر،و أسمياها (مدينة السّعادة) ،ثمّ صارت بوسعادة ، أُقيمت فيها المآذن وزوايا المتصوّفة وأجراس كنائس وأسقف معابد يهوديّة ،ثمّ اِنقلبت عليهم جميعًا وغازلت رسّامين وكتّابًا ،مرّ بها كارل ماركس...وغيرتي عليها تجعلني أعاتبها وأغضب منها»**[3] عمد الرّوائي على تعريفها كون المدينة تحمل عمقًا تاريخيًّا وثقافيًّا أنجبت أشخاص عظماء مثل : اِيزابيل إيبرهارت .

د–المقبرة:

القبر هو آخر لحظات الإنسان الذي ينام فيه نومته الأخيرة، وتعمّد جوزيف بالحديث عن المقبرة لأنّ المجتمع الجزائريّ يعطي أهميّة كبيرة لها، وبخاصّة في الأعياد لزيارة أحد موتى الأقارب والدّعاء لهم، فالرّاوي جوزيف يتذكّر اِيزابيل ،ويذهب لقبرها ويهدي لها شموع لقوله :« **زرت اِيزابيل أو لي محمود ،كما كانت تسمّي نفسها في مقبرة سيدي بوجمعة ،ثلاث مرّات :المرّة الأولى لقراءة الفاتحة على روحها ,وإشعال شمعة ،والثّانية لتحويط القبر بالطّوب ،بعدما يلقي عن كلاب ضالّة كانت تنشى القبر...في اليوم الثّالث وجدت أنّ أحدهم قام بإزالة الحائط الصّغير ،وترك لافتة كرتونيّة فوق القبر...»** [4] اِلتزم الرّوائيّ هنا بدلالات تصوّر لنا عادات وتقاليد التي يتميّز بها

[1] الرواية ، ص 89 .

[2] المصدر نفسه ،ص81.

[3] المصدر نفسه ، ص 81.

[4] المصدر نفسه ، ص 55.

المجتمع الجزائري وبالتّحديد في هذه المدينة، بداية من قراءة الفاتحة على قبور الموتى وإشعال الشّموع عليها ،وتنظيف القبر بإزالة الحشائش ،تلك الممارسات العقائديّة في المقبرة هي جزء من شخصيّة الإنسان الجزائريّ المحافظ الملتزم .

تنتشر هذه الظواهر في غالبية المدن و القرى الجزائرية. إذ يعتبرونه جزء من تراثهم، توارثوه جيل بعد جيل واِنغرست هذه الأفكار في فكرهم، حيث كانوا يزورون الأضرحة ويتبرّكون بالولي الصالح ويشعلون الشموع في أرجاء الزاوية فالبطل جوزيف أشعل الشموع على قبر إيزابيل، و كأنها وليّ صالح وهذا ما يدل على تأثّره خلال فترة إقامته في الجزائر بعاداتها و تميع فيه بتقاليده و عاداته الشعبية فعلى: « **بعد حوالي مئتي متر من مقبرة الاباضيين في حي الأقواس دائما توجد مقبرة السنة التي تنزل اليها كل يوم اثنين بعد صلاة الظهر كتيبة من المخلصين لتنظيفها وتنقيتها من الفضلات و الحشائش و الأشواك** » [1] يقوم شباب الحي بالعناية الخاصة بالمقبرة السّنية أمّا « **مقبرة النصارى الواقعة في حي الشعبي الأقواس سُمي كذلك نسبة للأقواس الإسمنية الكبيرة ... كما شاهدت أيضا مجموعة من المراهقين، وهم يسرحون بين القبور مع كلاب لهم حولوا المكان الى حديقة كلاب و ميدانًا لتدريبهم يربّون فيها حيواناتهم و يفعلون فيها ما أرادوا يتبوّلون ويتغوّطون تحت شجر الخرّوب**» [2] ترتبط هذه المقبرة بدلالات سلبيّة عديدة تجسّد حالة الرّداءة، والإهمال والعزلة والتّهميش وعدم اهتمام السّلطات بها وحمايتها.

هـ – الزوايا :

« **تعتبر الزّوايا في الجزائر من بين المنظمات الدينية الأولى و الرئيسية فيها فهي تطبق و تدرس العلوم الإسلامية السّنية** »[3] ظهرت خلال العهد العثماني، وهي تتواجد داخل الذاكرة الجزائرية سواء الثقافية أو غير الثقافية نظرا لما تحمله من بعد روحي، و فكري و لها دور في تكوين الفرد اِجتماعيا وتربويا يشرف عليها شيخ صوفي. نجد في رواية "أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل" أن البطل متأثّر بها وذلك من خلال ذهابه إليها و اِستشارة شيخها « **الحال في البلاد يخوف وش**

[1] الرواية ، ص 57.

[2] المصدر نفسه ، ص 54.

[3] www.wikipedia.com على الساعة 13:10 يوم 2020/06/16.

رايك يا شيخ؟» [1]، **«أخبرني بأنّ شيخ الزاوية الحاج لمنوّر يجلس رفقة واحد من طلبته ،أعتقد أنه سيقف موقفا شهما معي و يواسي حالي بكلام لائق، إلا أنّي تجرعتها من دون توتر لم أظهر أمامه ملمّحا مغايرًا، و قفزت في الدردشة لأسئله عن حال الزاوية عن الطلبة الذين يحفظون فيها القرآن ويتعلمون التجويد ... الوضع لا يبشر بخير عس روحك الحالة تخوف. أفضل أن أحكي لك الأشياء في حينها ستصلك منّي رسالة قريبًا»**[2] ، يبدو من خلال الأقوال أن الروائي اِلتزم بمحاولة توضيح مدى حفاظ هذه الأمة، واِرتباطها الوثيق بهذه الزوايا، وما تقوم به أيضا من حفاظ على الهوية، والشخصية وقدرتها على التّأثير و جذب الزّوار من شرائح المجتمع المختلفة، كونه مجتمع محافظ وديني بالدرجة الأولى. كما نجد أن شيخ الزاوية يتمتّع بجانب روحي و سلطة قوية في المجتمع المدني، وهذا ما نلاحظه مع "شيخ لمنور" بحيث يمدّ يد المساعدة للمحتاجين و يسمع آراء الآخرين.

رابعا– الزّمان :

يتميّز النّص الرّوائيّ بعناصر أضفت على هيكله متعة جماليّة وفنيّة من حيث النّسق والسّياق، ومن هذه العناصر نجد الزّمن، الذي يضع الرّواية في إطار محدّد بفترات يمنحها مكانتها وأهميّتها في العمل الأدبيّ، وعليه فهو يمثّل المقوّم الأساسيّ الذي ترتكز عليه عمليّة الحكي، ولولاه لا يمكن تخيّل وجود رواية دون فترات زمنيّة تربط أحداثها.

أ–لغة :

جاء في لسان العرب «**الزَّمَنُ وَ الزَّمَانُ، اِسْمُ لِقَلِيلِ الوَقْتِ وَكَثِيرِه، وَالزَّمَنُ وَالزَّمَانُ وَالعَصْرُ وَالجَمْعُ أَزْمَنٌ وَأَزْمَانٌ وَأَزْمِنَةٌ وَالزَّمَنُ وَزَامَنَ، شَدِيدٌ وَأَزْمَنُ الشَّيْءِ :طَالَ الزَّمَانُ عليه**»[3]. أي هو الوقت سواء في طوله أو قصره.

[1] الرواية ، ص 69.

[2] المصدر نفسه، ص 71.

[3] لسان العرب ،اِبن منظور، مادة (ز، م، ن)، ج1 ،ص555.

ب–إصطلاحا: يكتسب الزّمن معاني متشعّبة ومتّسعة، ويأخذ أبعادًا شتّى في الفلسفات المختلفة «**نشاط اِنساني يرتبط بالأحداث التي تجري فيه فهو الدّالة على مرور الوقائع اليوميّة** »[1] بمعنى أن الزمن هو الذي يربط الوقائع التي تحدث للإنسان ويدلّ عليها خلال فترة حياته اليوميّة المتعدّدة.

نقوم في أثناء دراسة التّرتيب الزّمنيّ للنّص القصصي على المقارنة بين الأحداث في النّص القصصي وترتيب تتابع هذه الأحداث الحكائيّة، وهنا يمكننا أن نميّز بين زمنين في الرّواية:

- زمن السّرد .

- زمن القصّة .

يرى حميد لحمداني أن زمن القصّة متسلسل أي ضرورة التّتابع للأحداث ،بينما زمن السّرد غير متسلسل وسنوضّح هذا منة خلال المخطط الآتي :

أ ⇦ ب ⇦ ج ⇦ د (زمن القصة)[2]

أحداث زمن القصّة جاءت متسلسلة ومرتّبة، وتمثّل الحروف من أ إلى د بداية ونهاية الأحداث.

أمّا زمن السّرد فيمكن أن يتّخذ الشّكل الآتي :

د ⇦ ج ⇦ ب ⇦ أ (زمن السّرد)[3]

إذا السّارد في زمن السّرد يعيد ترتيب أحداث القصّة ،حيث أنّها لم ترد متسلسلة وهذا الإنحراف ما يعرف ب"المفارقات الزّمنيّة" التي تخلّل معظم الأعمال الرّوائيّة، وتعدّ الرّواية على غيرها من الأنواع الأدبيّة الأخرى تميل إلى الإنتقال بالماضي واِستدعائه عن طريق "الإستذكارات" أو "الإسترجاعات"،كما لا ينفي أيضا اِنتقالها من حاضر زمن السّرد إلى المستقبل، وهو ما يُعرف بـ "الإستباقات".

[1] شعريّة القصّة القصيرة جدّا ،جاسم خلف اِلياس ،دار نينوى ،دمشق ،(د ،ط) ،2010 ،ص108.

[2] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،حميد لحميداني ،ص73.

[3] المرجع نفسه ،ص.ن .

تقدّم لنا الرّواية "أربعون عاما في اِنتظار إيزابيل" إشارة زمنيّة للقصّة ،وذلك بالاِعتماد على بعض بالقرائن اللّفظيّة الموجودة في الرّواية ،والتي تسمح لنا باستخراج هذا الزّمن لقوله :« **أربعون عامًا قضيّتها في الجنوب** »[1] وفي موضع آخر:« **وصلت شتاء 1951** »[2] ثم قوله:« **لم يبقى من الوقت سوى ثلاثة عشر يومًا ،قبل اجراء الدّور الثّاني من الاِنتخابات البرلمانيّة التي تميل فيها الكفّة إلى حزب "العدالة" الذي فاز بالدّور الأوّل قبل ثمانية أيّام** ... »[3] أي بداية أحداث العشريّة السّوداء والتي مهّدت لها عام 1992.

وبالرّجوع إلى نهاية الأحداث التي حصلت للرّوائيّ داخل الجزائر نجدها سنة 1992.

وبإجراء عمليّة حسابيّة: 40=1952-1992 نجد هذه السّنة هي بداية زمن القصّة، ويقابلها في الواقع بداية العشريّة السّوداء، وهي فترة مهمّة في تاريخ الجزائر.

اِلتزم السّارد في الرّواية بالزّمن الطّويل فلم يتغيّر موقفه عبر مرحلته الرّوائيّة، حيث وظّف عناصر الزّمن ومن هذه العناصر نجد تقنية الاِسترجاع التي غلبت على هذه الرّواية وجعلت أحداثها تأتي في فترات زمنيّة غير مرتّبة وغير متسلسلة ،وقد تعمّد خطيبي هذا كون بطل الرّواية كان مولعًا بشخصيّة تاريخيّة، وهي إيزابيل :"لم أفكّر يومًا في الحرب، لكنّي وجدت نفسي متورّطا فيها، قتلت أناسًا لا أعرفهم ،في فرنسا وفي الجزائر، بالسّكين وبالمسدّس وبالرّشاش "المات94" الذي كنت أتداول عليه أنا وسليمان"[4] فجوزيف بطل الرّواية قد شارك في الحرب ،حيث ذكر أنواع الأسلحة المستخدمة في تلك الفترة دفاعًا عن الجزائر.وعن وطنه.

يقول أيضا: «**عرفت حرب الجزائر ،مظاهرات ماي 1986، تابعت حرب إسرائيل عام 1967، ردّ العرب عام 1973، خطابات هواري بومدين الصّافية،غضب أكتوبر 1988، حرب الخليج الأولى ثمّ الخليج الثّانية، سقوط جدار برلين، وحياتي مع سليمان** »[5] ، حيث

[1] الرواية ، ص 14.
[2] المصدر نفسه ، ص ن .
[3] المصدر نفسه ، ص 13.
[4] المصدر نفسه ، ص 32.
[5] المصدر نفسه ، ص 30.

إلتزم الراوي بذكر وقائع تاريخية بداية من مشاركته في الثورة التحريرية، و مظاهرات ماي 1968، التي حدثت في فرنسا حيث أحدثت إضطرابات مدنية في جميع أنحائها إستمرت نحو سبعة أسابيع تخلّلتها مظاهرات، واِضطرابات عامّة واِعتصامات في الجامعات بالإضافة إلى أن جوزيف قد شهد بما يُعرف ب "النكسة" حرب الأيام الستّة 1973« **شنّت اسرائيل حربا على ثلاث دول عربية منها مصر و سوريا و الاردن و استولت على معظم الأراضي**» [1] قامت خلالها بتهجير الأهالي وتشريدهم ففرّوا إلى البلدان المجاورة كما نجد ،أيضا، خطابات هواري بومدين عام 1974م قام الرئيس الجزائري بإلقاء خطابات في نيويورك لبحث الوضع الإقتصادي للدول النامية خاصة الجزائر، وتحسين الأوضاع المعيشية، حيث أنّه كان يُثير بهيبته الخوف، والاِنبهار في نفوس رؤساء الدول كما نجد ،أيضا، أنّ الراوي جوزيف اِلتزم بتذكره لمظاهرات عام 1988م التي شهدت اِحتجاجات عارمة في الشوارع عمّت الولايات الجزائرية، وهي من أصعب الفترات التي مرّت بها البلاد نتيجة لما خلفه الإستعمار و الحالة المعيشية المزرية، والبطالة و البيروقراطية و غيرها الكثير من الأحداث التي ظهرت في فترة الستينيات، والسبعينيات، والثمانينيات عاشها بطل الرواية بكلّ تفاصيلها .

كما نجد إسترجاعات أخرى في قوله «**التجمّعات السياسية التي لا تنتهي مررت، أمامها هذا الصباح، وكانت تحتضن تجمّعا شعبيا لأنصار حزب العدالة وقفت على رصيف مقابل لها، مجموعة من العجائز و المراهقين و الفضوليين وبقيت أنظر، بعينين منبهرتين الى شباب الحزب و كل واحد منهم ...الله أكبر! الله أكبر! نصر عبده و أعز جنده و هزم الأحزاب وحده**» يكرّر جوزيف حدثًا تاريخيّا مسبقًا وهو قوله «**لم يبقى من الوقت سوى ثلاثة عشر يوما قبل إجراء الدور الثاني من الإنتخابات البرلمانية التي تميل فيها الكفة لحزب العدالة الذي فاز في الدور الأول قبل ثمانية أيام**»[2] اِلتزم هنا جوزيف بذكر حدث تاريخي،ذكر فيه أنصار حزب العدالة الذي فاز بالدور الأول من الإنتخابات التّشريعية عام 1990م. ويرجع سبب نشأة هذا الحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بقيادة عباسي مدني، نتيجة تردي الأوضاع الإقتصادية، والإجتماعية

[1] http://aljazeera.net على الساعة 19:05 يوم 2020/02/24.

[2] الرواية ، ص 13.

سنة 1988م لتكون ممثلا لهموم الشّعب الجزائري، فأقاموا تجمّعات كبيرة في المدينة مردّدين شعارات أثارت الرّعب في نفس جوزيف رينشار .

من خلال هذه الإسترجاعات التي ذكرها السّارد مُستعينا بوقائع تاريخية حقيقية، اِلتزم بذكرها وبخاصة في الجزائر من فترة الخمسينيات إلى غاية التسعينيات عرفت خلالها تحوّلات سياسية، نتيجة الأزمة التي وقعت فيها جرّاء الإستعمار و تذمّر الأهالي وعدم قبوله لذلك الوضع ومحاولة الخروج من الأزمة و هذا ما حصل فعلا سنة 1991م، 1992م.

كما نجد تقنية الإستباق واضحة في رواية "أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل" و هي مجمل ما يتوقعه السارد حدوثه لاحقا، و تكون خارجة عن مسار القصّة الأولية على الرغم من قلّتها. فالسارد جوزيف كان خائفًا من تحوّلات الأوضاع السياسية التي باتت حسّاسة جدّا في الجزائر، و التي ستحصل بعد أيام أو شهور أو سنوات بِاعتبار أنّ أول من يتأثّر بها هم الأجانب أمثاله، والتغييرات الحاصلة من تأميم لممتلكاتهم و هم الأكثر عرضة للخطر و الضّرر لقوله «**ووعد قادة أنصارهم الكثر بحياة أفضل مع تأميم ممتلكات ، واعادة توزيعها بالعدل هم طبعا لن يستثنوا بيتي من قائمة التأميمات و لن يولوا اِهتماما للأربعين عاما التي قضيتها بينهم**»[1] تنبأ جوزيف بما سيحصل وهذا من خلال ما رآه و ما سمعه من أخبار، و قلقه الدائم على وضعه.

[1] الرواية ، ص 13 .

الفصل الثالث

قضايا الإلتزام في رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل

أولا / قضية إجتماعية

ثانيا / قضية ثقافية

ثالثا / قضية سياسية

رابعا / قضية وطنية

خامسا / قضية دينية

سادسا / قضية قومية

توطئة :

يأخذ الأديب مكانته في مجتمعه من خلال موقفه المناسب إزاء قضاياه، وقدرته على التّعبير، وإحساسه الكبير بمشاكله و همومه، بحيث تختلج في نفوس قومه و وطنه ،فيتعاطف مع الجماهير، ويتّخذ موقفًا مع كل ما يحصل حوله في جميع القضايا المصيرية التي تحدّد مستقبل أمّته. و هو ما نجده في "رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل" .

أولا– قضية إجتماعية :

يمكن للأدب أن يكون صورة عن الواقع الإجتماعي بأبعاده النّفسية والفكريّة والشّعورية والمادّية« **يكون الأدب الضوء الذي يتم تسليطه على معاناة معينة و يتمّ لفت نظر المجتمع لهذه المعاناة**»[1] ومن ثمّة يجب إيجاد حلول لها بشتى الطرق و الوسائل فالأدب يصور هذه المعاناة من خلال الشّعر أو النثر أو غيرها، لأنّه يعبّر عن حالة المجتمعات و يمكننا من التّعرف عليها. فنجد العديد مثلاً من الروايات غيّرت مجرى حياة الكثير من الناس و غيرت أيضًا مفاهيم متجذّرة في المجتمع فهو إذًا مُلتزم بقضايا إجتماعية شتّى مثل: قضايا الفقر، التعاون ،و التضامن ،الأعراس الإجتماعية التحرش السرقة ....الخ .و عليه فإنّ الروائي سعيد خطيبي في روايته أربعون عامًا في إنتظار إيزابيل سلّط الضوء على قضايا إجتماعية في المجتمع الجزائري و أبرزها و إلتزم بالتعبير عن واقع يعيشه الإنسان الجزائري و كل ما يعترضه من عقبات ،و فساد، وفقر قتل وغيره ومن هنا يمكننا رصد اهم هذه القضايا الاجتماعية التي التزم بها سعيد خطيبي فيما يأتي :

أ– الإغتصاب :

يعدّ الإغتصاب في الجزائر من أهم الظواهر الإجتماعية الموجودة في البلاد، و لقد أصبح القانون الدولي يصنّف جرائم الإغتصاب و الإعتداء الجنسي في النزاعات المسلحة كأخطر أنواع الجرائم بشاعة،و «**تسجّل الجزائر حوالي سبعة آلاف حالة إغتصاب و تعدّ جنسي في حق**

[1] ديوان العرب ، العلاقة بين الأدب و الواقع الإجتماعي ،سناء أبو شراء

www.diranalarab.com 18/06/2020 16:05

الأطفال من قبل أحد أفراد عائلتهم، و قائمة المعتدين تشمل الأب و الأخ و العم و الخال في تطور سلبي لم يعرفه الجزائريون من قبل»[1]

و هو ما حدث أيضا وقت " العشرية السوداء من 1993 إلى 1997 " من إغتصاب النّساء أيضا، و بأعداد مهولة من طرف الجماعات المسلّحة غير حكوميّة كانت تحارب الدولة الجزائرية،و قد بلغت خمسة آلاف حالة إغتصاب للنّساء .

تطرّق الروائي إلى هذه القضية من خلال سماع جوزيف لهذا الخبر من أحد الجيران في قوله : « **سمعت من أحد جيران المقبرة قصّة أيوب الطفل الأشقر الوسيم، ابن الحادية عشرة من العمر الذي استدرجه مراهقان اثنان،أكبر منه سنًا بين القبور بنية ان يبيعا له طائر الحسّون ،ثم تداولا على اغتصابه قبل أن يلتحق بهما رفاق لهما ،و يغتصبه في النهاية خمسة مراهقين آخرين** »[2] «**في البدء، ابتلع الطفل العار لم يقل شيئا لوالديه، لكن واحدا من المغتصبين أشفق على حاله بعدما لاحظ انطواءه، و أخبر والده بالأمر على مضضٍ و ركض والد ايوب فهم ما حصل فلم يجد سبيلا للإنقاذ ماء الوجه سوى بيع بيته بأزهد الأثمان و الرّحيل إلى حيّ آخر**»[3]. فنلاحظ أنّ هذه الظاهرة الإجتماعية تصيب الأطفال بكثرة، وقد إلتزم الروائي بسرد تفاصيلها ومكان الحادثة يقول أيضا : «**لم تكن تلك المرّة الأولى التي يحصل فيها أمر كهذا ،فالمقبرة صارت قاعدة خلفية للسّكارى والمثليّين و باعة الحشيش ... أمام أعين المارة من الحي ومن أحياء قريبة**»[4]نرى من خلال تبيّن الروائي لهذه الظاهرة وقائع حقيقية نراها حاليا في مجتمعنا، وهو حال لا مفر منه، فقد إلتزم بالتّعبير عنها بتأسّف و غضب لما يحصل نتيجة تكرار هذه الحوادث مرارًا و تكرارًا دون الوصول إلى نتيجةخاصة و أنّ القانون الجزائري لا ينصّ على عقوبات صارمة في حقهم، وتعوّدهم على هذا الوضع لذلك فسعيد خطيبي حاول أن يجد حلاّ لها. بحيث يقف كل فرد بحزم تجاه

[1] www.dw.com 20/12/2010 13:29.

[2] الرواية ، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] المصدر نفسه ، ص 54.

هذه القضية و عدم السكوت عنها من ذلك تحريك السلطات و تغيير في القانون مادة 336 من قانون العقوبات و ينبغي دراسة حالات العنف الجنسي في الجزائر .

ب– الزّنى :

يعدّ الزّنى محرّما في الإسلام وهو ممارسة الجنس دون زواج، فتُوجب الشريعة الإسلامية حدّا لمن يرتكب هذا الفعل .لقوله تعالى:" **الزَّانِيَةُ و الزّانِي فاجْلِدُوا كلّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مَائة جَلدَةٍ و لا تَأخُذكُمْ بِهِما رَأفَةٌ في دِينِ الله إنْ كُنتُم تُؤْمِنُونَ بالله وَ اليَومِ الآخِرِ و لْيَشْهَدْ عَذابَهُمَا طَائِفَة من المُؤمِنِينَ**"[1] لكن هناك من يعدّ هذه الممارسة عادية مما ساهم في ولادة اطفال بدون هوية .فظاهرة الزّنا غريبة عن عاداتنا الإجتماعية يرتكب فيها فتيات و شباب ممارسات مخلّة بالحياء.

كشف الروائي سعيد خطيبي عنها في روايته و ذلك عند تنبؤ البطل جوزيف عن وجود طفل رضيع عثر عليه في المقبرة في قوله : «**وجدوا صباحا بين القبور رضيعا في شهره الأول لم تجد مكانا للتخلص منه سوى مقبرة النّصارى، عثر عليه باكيا بين قبري زوج فرنسي ...ماتا عامي 1957 و1965، حمل شاب عشريني الرّضيع بين يديه مرتجفا ، و ركض به إلى المسجد ...أرواحوا شوفوه و قولولنا شكون (من هم) والديه**»[2]

ج– السحر:

السحر من المسائل التي تحدثت عنها عدد من الأديان و الثقافات «**وهو مصطلح عام يستعمل لوصف فاعلية تقوم بتغيير حالة شيء ما أو شخص ما في نطاق التغيير الذي يمكن للشخص أن يتعرّض له دون خرق لقوانين الطبيعة والفيزياء**»[3] التغيير الذي يحدث سواء للشخص أو شيء مادي و معنوي دون إرادة .

[1] سورة النور،[الآية 2] ،ص 350.

[2] الرواية ، ص 55.

[3] www.wikipidia.org يوم 2020/02/16 على الساعة 19:10.

و قد تناولت الرواية هذه الظاهرة على لسان جوزيف «**يدخلها الناس صامتون أو يتمتمون بأدعية ،أبوابها الثلاثة لا تغلق، و يوم الجمعة تزدحم بنسوة يأتين ،في الغالب متلحّفات الأبيض أو الأصفر الفاتح للتّرحم على الأموات و رشّ قبور أهلهم و أحبّتهم ،بعطور محلية،رخيصة الثّمن، بعضهن شاهدتهن وهن يلوّن شواهد القبور بالحنّاء أو يبخّرن ما حول القبر، و بعضهن الآخر ينبشن خفية القبر لدسّ أغراض حميمية أو قصاصات ورق كتب عليها أدعية او كلام آخر لا أعرفه**»[1] أراد سعيد خطيبي في تناوله لهذه الظاهرة عرض كيفية آداء السحر لدى الجزائريين و بخاصة النسوة منهن و ما تكشفه الحقائق أن السّحر أصبح بالّنسبة للمجتمع الجزائري حسب الراوي شبح يخيفهم وهذا ما نراه في الآونة الأخيرة ، بالأخص فئة الشباب الذين يردّون سبب فشلهم إلى هذا الأخير (السحر) .

د– السرقة :

طرح سعيد خطيبي قضية السرقة في روايته على لسان جوزيف في قوله:« **تعرّضت جارتنا حيزية لسرقة قلادتها الذهبية ،ذهبت لديار الزّوالية لتتباع أربعة كيلو غرام من الصابون الأسود،بسعر مخفض ... و فجأة قبل أن تردّ عليه، وصل شاب آخر من الخلف و سحب القلادة من رقبتها بقوّة، و ركضا هاربين** » [2]. و قوله أيضا: «**ردّت عليّ و هي تبتلع دموعها :دخلوا للدار من النافذة و سرقوا كل شيء ما خلاّو والو**»[3] أراد الروائي أن يبّين حالات السرقة التي يعاني منها المجتمع ،و تزايد شكاوي المواطنين التي لم تجد لها السلطات حلاّ جذريا. وبخاصة في فترة السبعينيات الى التسعينيات مع ظهور الأزمة.

هـ– القتل :

من أبشع الجرائم و أخطرها ذكرت في هذه الرواية لأنّها الحوادث الدائمة و المتكررة في المجتمع الجزائري يقول جوزيف: «**عادت الشرطة ،هذا الصباح ،للتحقيق في قضية وفاة جارتنا علجيّة**

[1] الرواية، ص 57.

[2] المصدر نفسه، ص 61.

[3] المصدر نفسه ، ص 152.

توقفت سيارة البوليس، الزرقاء و البيضاء، أمام بيت الضحية ... بحسب ما ورد على ألسنة البعض، و ما لم يصدقه سليمان، فإنّ الميلود قتل زوجته خنقا، قبل أن يعلّق جثتها على مشنقة للتّمويه ، بعدما راوده شكّ بأنّها ترتبط بعلاقة مع شاب ثلاثيني...» [1]

يبين لنا الراوي مدى بشاعة و قساوة طريقة القتل، الذي مسّ فئة الشباب بكثرة ففترة التسعينيات لعبت دورا في تنامي هذه الظاهرة و لا تخفي التحقيقات في قضايا الجرائم أن هناك خيطا يربط بين تفشي الجريمة بمختلف أنواعها منها تعاطي المخدرات و الدّعارة و الإعتداءات الجسدّية والمشاكل الأسرية .

من خلال ما سبق يمكننا القول أنّ سعيد خطيبي تناول في هذا الجانب أكبر المشكلات التي تواجه المجتمع الجزائري وهي :الإغتصاب ،الزّنى، السحر، السرقة ،القتل أدّت بدورها الى اِنتشار الفساد و الإنحلال الخلقي داخل الأوساط الإجتماعية، وانعكست على الوضع الإقتصادي والسياسي بأكمله .

ثانيا– قضية ثقافية :

تعدّ الثقافة مكوّنا من مكوّنات المجتمع. التي من خلالها يمكنّنا التعرف على حياة الإنسان وهويته : «**يأخذ طابع الشمولية على نحو واسع، و يشتمل في إطار عموميته هذه على الغايات المطروحة و المعلنة ،فالثقافة في واقع الأمر كل مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة، و تشمل أيضا على كل أشكال التغييرات المختلفة، و الفعالية المتنوعة،التي تنبثق عن النظام المكتسب**»[2] فهي تمثّل سائر المعتقدات و العادات و التقاليد و العلوم و المعارف، والفنون و الآداب والصفات و القيم الخلقية و غيرها ،التي تؤثر في الفرد كونه عضو في المجتمع .

يمكننا الغوص في رواية "أربعون عاما فيِ انتظار اِيزابيل" لِاكتشاف بعض هذه القضايا، فنجد سعيد خطيبي يطرح لنا ظواهر ثقافية راسخة في المجتمع الجزائري، مُلتزمًا على وصف و إبراز بعض

[1] الرواية ، ص 74.

[2] الهوية ، أليكس ميكشيللي ، تر : علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط 1 ، 1995 ، ص 27.

منها و بخاصة في مدينة "بوسعادة" منها زيارة المقابر، يقول جوزيف : «**على بعد حوالي مائتي متر من مقبرة الإباضيين ،في حيّ الأقواس دائما، توجد مقبرة السنّة ،التي تنزل إليها كل يوم اثنين، بعد صلاة الظهر، كتيبة من المخلصين ،لتنظيفها و تنقيتها من الفضلات و الحشائش و الأشواك، يدخلها الناس صامتون أو يتمتمون بأدعية ، أبوابها الثلاثة لا تغلق، و يوم الجمعة تزدحم بنسوة يأتين في الغالب ،متلحّفات الأبيض أو الأصفر أو الفاتح للترّحم على الأموات ورشّ قبور أهلهم و أحبّتهم بعطور محليّة رخيصة الثّمن ،بعضهن شاهدتهن وهنّ يلوّن شواهد قبور بالحناء أو يبخّرن ما حول القبر، وبعضهن الاخر ينبشن خفية في قبر لدسّ أغراض حميمية أو قصاصات ورق كتبت عليها أدعية أو كلام آخر لا أعرفه**»[1] هذه أحد الممارسات التي تعارف عليها أفراد المجتمع، إذ أنّها تمثّل وجها من ثقافتها، وهي عادة يقومون بها كل يوم اثنين تقديسًا للأموات و الترّحم عليهم و الدّعاء لهم، أو لغرض شخصي (سحر) و هو ما كان يجهله البطل جوزيف ،فقد كان يرصد سلوكياتهم و ينتبه لأدق تفاصيلها، و ذلك لاختلاف ثقافته الفرنسية على ثقافة مدينة" بوسعادة "فكان يتقبلها تارة و ينفر منها تارة أخرى، لكن عيشه فيها إستوجب عليه التأقلم و التعوّد عليها.

تتشكل أوجه ثقافية أخرى التزم بها الروائي ،و هي مناسبة إلتقاء السكان فيما بينهم يقول جوزيف: «**كانت تجمعنا جلسات لعبة "السّيق"التقليدية التي تلعب بأعواد القصب ،في أرصفة الحيّ، برفقة جيران لنا ،بعضهم رحل للدار اللأخرى. و بعضهم الآخر ينتظر، نتحدث أثناءها في كل شيء، في السياسة والمجتمع، في الماضي و الحاضر ،و في النسوة اللّواتي كن يعبرن الشارع من أمامنا**»[2] هذه اللّعبة جعلت عقلية جوزيف تتكيف مع عقلية جيرانه، و تجعله يشعر كأنه فرد من افراد الجماعة و من هذا الموروث الثقافي. و يظهر إبراز التّراث وتجليه في الرواية كأحد القضايا الثقافية البارزة، حيث إلتزم الروائي بتوظيف اللّهجة العاميّة ،كونها تحمل مخزون ثقافي مهم، فنجدها على لسان شخصيات الرواية منها شخصية " جوزيف " و شخصية" سليمان "من خلال تبادلهما الحوار معًا :

[1] الرواية ، ص 57.

[2] المصدر نفسه ، ص ن .

–واش يقولو عليّا الناس ؟ تساءل بنرفزة .

–ما فيها حتى عيب، لمرا حابة تخدم على شرها .

–راح يتمتم كلمات لم افهمها ،معبّرًا على عدم رضاه ،و أضاف:

– أنت تحب تجيب العيب و كلام الجيران .[1]

ونجد "جوزيف "في حوار آخر مع مليكة بالعامية :

– واش راك عمّي الحاج ؟

– بخير يا بنتي.

–واش راه عمي سليمان ؟

– لاباس عليه .

و خفضت رأسها و قلت لها :

–سلمي على باباك بنتي .

–يبلغ نشاله ... تهلّي في روحك الحاج باي باي».[2]

لقد كان التزام سعيد خطيبي باختياره اللهجة العامية على لسان "جوزيف" اختيارا موفّقا، و ذلك محاولة منه إبراز بعض ملامح الهوية الجزائرية، و إكساب البطل هويّة شخصيّة من خلال ما يحمله من قيم ثقافيّة مستمدّة من ثقافة المجتمع الجزائري .

إلتزم الروائي أيضا بتوظيف المثل الشّعبي ليدلّ به على أصالة الشّعب الجزائري، وعمق هويته وجاء عبر محطّات عدة إذ يقول الرّاهب" برنار" مخاطبًا جوزيف: «**اللّي ما هام ما عام ما يعرف**

[1] الرواية ، ص 38.

[2] المصدر نفسه ، ص 40.

قدّاش نهار في العام»[1] و يقول جوزيف أيضا : «**عاش ما كسب مات ما خلّى**»[2] و يقول سليمان «**اللّي خلق ما يضيّع**»[3] ، «**اللّي فات مات**»[4]

كما تتكئ الرواية على رافد ثقافي اخر وهو اللّباس، الذي يرتبط في شكله و حجمه و لونه وطريقة ارتداءه بثقافة معينة بحيث يرتدونه بطريقة خاصة ،فيرتدي نساء بوسعادة "ملحفة بيضاء "التي تمثل لهنّ رمز الأصالة و الحشمة يقول جوزيف واصفًا زوينة «**تأتي دائما إلى البيت مرتدية جلابة زرقاء ،باهتة وطويلة لا تغيرها و خمارًا أسود او أبيض يغطّي شعرها و فوقهما تلبس "ملحفة " بيضاء تغطي كامل جسدها ،لا شيء يظهر من مفاتنها و لا تضع ماكياجا.. هي تخجل منّا أكثر ممّا نخجل منها**»[5] كما يروي لنا عن "لالة سعدية" قائلا : « **صارت لالة سعدية تزور قبر عبد الرحمان كل يوم جمعة تلبس ملحفة بيضاء ، وتحمل معها بخورًا تشعله والد إبنتها الوحيد فاطمة ..**» .[6] و يقول واصفا "علميّة": " **تخرج علميّة مرتدية ملحفة بيضاء، و حذاء بكعب عال إلى وجهة أجلها**[7]» نلاحظ أن اللّباس الجزائري الصّحراوي عبارة عن لباس محتشم التي تتميّز به المرأة الصحراوية عن باقي الأخريات يمثّل بالنسبة لهم أصالة وعراقة وإعتزاز بالهويّة الجزائرية .

وكذلك الأمر بالنسبة للطعام ،الذي يمثّل موروثًا ثقافيّا يتداوله كل الأجيال وهوعبارة عن أكلات جزائرية تميّزها عن غيرها من البلدان، إلتزم الروائي بتسمية أنواع منها لما تحمله من عراقة، تميّز بها الشعب الجزائري في بلدان المغرب العربي ،التي تقدّم عادة في المناسبات أو الأعياد أو في رمضان، فيروي لنا بطل الروايّة أجمل اللّحظات التي يعيشها في شهر رمضان ومن خلالها نستطيع معرفة أنواع الأكلات الجزائرية المعروفة يقول جوزيف :« ... **أحتفل وقت الغروب ساعة الإفطار بمأدبة الأكل**

[1] الرواية ، ص 35.
[2] المصدر نفسه ، ص 103.
[3] المصدر نفسه ، ص 106
[4] المصدر نفسه ، ص 156.
[5] المصدر نفسه ، ص 38-39.
[6] المصدر نفسه ، ص ن.
[7] المصدر نفسه ، ص 128

مع سليمان أتلذّذ بصحون الشربة والمرق و الطّاجين الحلو بالفواكه المجفّفة ...»[1] نلاحظ أنّ هذه الأكلات المتمثلة في الشربة و المرق و الطاجين الحلو هي من العادات والتقاليد التي توارثها الأجيال بالإضافة إلى طبق "الشرشم" الذي يكرهه لكنه يحتفل برأس السنة الأمازيغية كغيره من الأصدقاء، و الجيران الجزائريين المحيطين به ليوطّد العلاقة بينه وبين أهالي " بوسعادة ".

يتّضح من خلال ما سبق أنّ الأعراف و القيم و العادات و التقاليد ،التي ذكرناها و هي "اللّباس ،الأمثال الشعبية ،الأكلات التقليدية ،اللهجة العامية والمناسبات" تبناها المجتمع الجزائري وتعامل معها كنوع من التقديس، فنستطيع أن نقول بأنه مجتمع محافظ إلى أبعد الحدود، إلتزم الروائي بتنويعها في الرواية ليبيّن مدى قيمتها و أهمّيتها لديهم، و للتّعريف بالثّقافة الجزائرية لتصبح عالمية .

ثالثا – قضية سياسية :

بعدما تسلم الشاذلي بن جديد الحكم في البلاد عام 1979م ، حاول النهوض بإقتصاد الجزائر المنهار، و ذلك في منتصف الثمانينيات 1986 منها إنخفاض أسعار النفط ممّا أدى تدهور الأوضاع الاقتصادية و زيادة نسبة البطالة عجزت الحكومة عن حلّها ، و في عام 1988 خرج الشارع في غضب كبير ما عرف ب"أحداث أكتوبر" أو "إنتفاضة أكتوبر" تصاعد الغضب و أدّى إلى سلسلة من الاضرابات الطلابية و العمالية العنيفة فاعتقلوا العديد من المواطنين و قتلوا حوالي خمس مئة مواطن، و هو ما أسفر عن بدايات العشرية السوداء حاول سعيد خطيبي إلقاء الضوء عليها في روايته "أربعون عاما في إنتظار إيزابيل" على لسان جوزيف في قوله:« **خرجوا في مظاهرات 5 أكتوبر 1988 بالمتشردين وقطّاع الطرق وقتها جاءت جماعة من الشّباب الغاضب كانوا ستّة أو سبعة شبان لست أذكر تحديدًا و هدّدوه بالقتل ...**[2]» ، وقوله أيضا« **جاء مكانه الإمام الحالي الذي شارك الشباب بخطب خشنة، في الدّعوة للتظاهر يوم 5 أكتوبر، و حثّهم للخروج الى الشارع لمواجهة أنصار الحزب الحاكم، و طرد الموالين للحكومة من المدينة كلية و حرق مقراتهم، و تمزيق صورهم التي كانت معلقة في دار البلدية و في قاعة السينما**

[1] الرواية ، ص 128

[2] المصدر نفسه ، 92.

الوحيدة»[1]. **«وأن الشرطة تستعيد المحتجين الناقمين على ظروف العيش الصعبة إلى بيوتهم»**[2].

صوّر سعيد خطيبي بعض الأجواء المشحونة بالغضب في الشارع الجزائري الذي لم يتحمّل الوضع،« **وإمتدّت هذه المظاهرات إلى باقي الولايات الأخرى أيضا مثل: وهران قسنطينة، عنابة، وتيزي وزو وبجاية و بحسب جريدة الشروق الجزائرية، فقد إمتدت المظاهرات لقرابة 70بالمئة من التّراب الجزائري عمّت المظاهرات جميع أقطار الجزائر وأسفرت عنها العديد من الاعتقالات والعنف»**[3] و هو ما أكّده جوزيف في قوله **الشرطة تعتدي بالضرب و بالرصاص المطاطي على الشباب الغاضب»**[4]، **«الشباب يغضبون و الشرطة ترد عليهم بالعصي وبالرصاص و بالقنابل المسيلة للدموع »**.[5]

قام الرئيس الشاذلي بن جديد بإصلاحات جديدي منها إنشاء إنتخابات تشريعية تعدّدية، نتيجة تردي الأوضاع فاز فيها بالدور الأول حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ حزب العدالة، ممّا رفض المنافس لهم حزب الحاكم جبهة التحرير الوطني النتيجة و أوقفوا عملية الإنتخابات .

يزعم البعض أنها خافت على مصالحها في البلاد، خرج أنصار حزب العدالة "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في مظاهرات و المطالبة بحقهم في الإنتخابات **«الله أكبر! الله أكبر! نصرعبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده»**[6] ، يردّدون شعارات وتهليلات **«لا إله إلا الله ... محمد رسول الله !لا ميثاق لا دستور ... قال الله قال الرسول! لا دراسة لا تدريس حتى يروح الرئيس»**[7] ، لم يرض أنصار حزب العدالة بالنتيجة ممّا أدى بالإطاحة بالرئيس، والتّخلي عن منصبه

[1] الرواية ، ص 92 .

[2] المصدر نفسه ، ص ن .

[3] www.djazeera.net 12/06/2020 15:15

[4] المصدر نفسه ، ص 96.

[5] المصدر نفسه ، ص ن .

[6] المصدر نفسه، ص 134.

[7] المصدر نفسه ، ص ن. .

نتيجة عدم قدرته تسيير البلاد «**ابتداء من اليوم أتخلى عن مهام رئيس الجمهورية**»[1] ،«**مغادرة الرئيس الأشيب لمنصبه في إستقالة إستعرافية على التلفزيون ، أمام الشعب**»[2]

وكمحاولة لتحسين الوضع قام الجيش بإحضار "محمد بوضياف" من منفاه في المغرب «**جاء الرجل الأسمر الأصلع من المغرب على متن طائرة رئاسية بجسد نحيف و ربطة عنق سوداء قدّموا له تمرا و حليبا أمام الكاميرا ، و قالوا بأنه سيكون رئيسا للبلد وسيرتّب فوضى الوطن ويصالح بين ديكة السياسة في العاصمة و هو قال في نشرة الأخبار أنّ الحال سيكون أفضل**»[3] بدأ الرئيس بزجّ معظم المنخرطين في حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ في المعتقلات في أقاصي الصحراء «**لكن الأخبار التي تصل كل يوم ليست تبشر بأمل لقد قتلوا دركيا من ثلاثة أيام في مدينة ليست بعيدة من هنا و حصلت اشتباكات عنيفة امام المسجد ... تدخلت الشرطة و أطلقت النار و قتلت شخصين**»[4] خرج أنصار حزب العدالة من جديد و طالبوا بحقهم في الإنتخابات «**ففي بضعة أيام، مات حوالي أربعين رجلا في البلد بحسب كلام الجريدة، سالت دماء وارتفعت منشورات و بيانات و عاد انصار حزب العدالة يطالبون بصوت خافت بحقهم في الانتخابات و الفوز بها**»[5] ممّا أدّى إلى تكوين جماعات إسلامية مسلحة، وإتخاذها من الجبال ملجأ لها والفرار من بطش السلطة، و بداية الاقتتال بين هذه الجماعات و أفراد الجيش لعشرية كاملة. قرّر جوزيف أن يعود إلى بلده بعد أن صار الرّحيل واجبًا لا يؤجل يقول: «**يبدو أنّ الأرحم لي هو أن أغادر و أسحب سليمان بهدوء قبل أن يشتد الأمر ويتعقد الحال على أن نعود لاحقا إلى هذا البيت**»[6] وبداية الصّراع المسلح.

من خلال ما سبق يمكننا القول أن سعيد خطيبي سرد أحداث العشرية السوداء لكن بدون تفصيل عن أي شكل من أشكال الصّراع، لكن الرواية كانت متّخمة بأجوائه لا سيما أنه يتحدث

[1] الرواية، ص 136.
[2] المصدر نفسه ، ص 145.
[3] المصدر نفسه ،.ص ن
[4] المصدر نفسه ، ص ن .
[5] المصدر نفسه ، ص ن .
[6] المصدر نفسه ، ص 146.

عن الفترة الأولى من بداية وفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ، والصراع على مستوى السياسة في الجزائر، وأصبح الجو السياسي و الاجتماعي يفرض على الجميع الخوف، و تلقّي الحذر الدائم، و كيف أثر الجو الإقتصادي على الوضع السياسي، والإجتماعي بأكمله.

رابعا– قضية وطنية :

يُعدّ الدّفاع عن الوطن و التمسّك به سمة متأصلة في النفس البشرية و كون الأديب إبن أمته فقد اهتم به، و كانت ملهمته في كتاباته و شعره متميّزًا بحسّ ثوري و قومي، مُلتزما بجميع قضاياه خاصة الوطنية منها، و لعلّ من أبرز الكتاب الذين تناولوا هذه القضية هو سعيد خطيبي في روايته "أربعون عاما في إنتظار إيزابيل" .

و ذلك على لسان جوزيف الذي إعتنق الدين الإسلامي، متخلّيا عن دينه المسيحي الأصلي و ترك بلده فرنسا و أحب و تعلم اللغة العربية في قوله«**حينها سأستغل الفرصة و أعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب، أرتّل أمامها بعضًا من صغار السّور:" قُلْ أعُوذ بِرَبِّ النّاسِ ..."،" قل أعُوذُ بِرَبّ الفَلَق ..." و"لإيلاَفِ قُرَيش ..."، و سورة الأعلى التي أحفظها عن ظهر قلب** ».[1]

يضاف إلى ذلك ترديده في الكثير من الأحيان لبعض الأدعية كقوله : «**ورحت أردّد مع المشيعين يا الله يا رحمان يا رحيم يا الله. إغفر لنا برحمتك يا الله**"[2] و قوله أيضا : «**خرجت من الزّاوية و أنا أستغفر الله و أسبّح بحمده**»[3] حاول جوزيف من خلال ترديده لهذه الأدعية أن يغرس في نفسه شعورا بالولاء و الإنتماء للدّين الإسلامي، و أن يكون فردا مشاركًا في شؤون المجتمع، فقد تخلّى عن مقومات دينه و عاداته .

كما شارك جوزيف ،أيضا، في حرب التحرير الوطني و مصاحبته لبعض المجاهدين لقوله: «**إنّني كنت صديقًا للمناضلين محمد بوضياف و عبّان رمضان و أنّني ساعدتهما في الفرار من**

[1] الرواية ، ص 31.

[2] المصدر نفسه ، ص 101.

[3] المصدر نفسه ، ص 72.

أعين الشرطة و جنبتهما السجن، أكثر من مرّة، و أنني كنت نصيرًا للجزائر المستقلة ،عدوًّا لفرنسا الكولونيالية و لجيشها الزّاحف»[1]

و قوله أيضا : «**قتلت أناسًا لا أعرفهم ،في فرنسا و في الجزائر،بالسّكين و بالمسدّس و بالرّشاش " المات 49"، الذي كنت أتداول عليه أنا وسليمان، سنوات ثورة الجزائر و كدت أن أقتل في كمين نصبه الألمان»**[2] . يتبيّن لنا من خلال قول جوزيف أنّه مُلتزم بالدّفاع عن الوطن (الجزائر) فعلى الرّغم من جنسيته الفرنسية إلاّ أنه خاض فيها حرب التحرير، و هذا ما يدلّ على وفائه لها وشدّة تعلّقه بها.

كما نجد أنّ البطل جوزيف يصرّح بإنسلاخه عن مقوّمات هويّته و هو الدين المسيحي، وتنازل عن شعائرها الدينية لقوله : «**وإمتنعت منذ أربعين عامًا عن الاحتفال بعيد القدّيسين في الفاتح من كل شهر نوفمبر، و تغاضيت عيد الفصح ،و عيد الصعود، و عيد الخمسين، وانتقال العذراء، و كل المناسبات الكاثوليكية الاخرى التي ورثتها من امي و من طفولتي في فرنسا،تنازلت عنها**»[3] بالإضافة إلى ممارسته لبعض عادات و تقاليد المجتمع الجزائري منها قراءة الفاتحة على قبر إيزابيل لقوله: «**زرت إيزابيل أو سي محمود، كما كانت تسمّي نفسها في مقبرة "سيدي بوجمعة" ثلاث مرّات: المرة الأولى لقراءة الفاتحة على روحها، و إشعال شمعة، والثانية لتحويط القبر بالطّوب، بعدما بلغني عن كلاب ضالة كانت تنبش القبر** ... »[4] و هو ما يدلّ على إنغماس جوزيف في الثقافة العربية الجزائرية و تأثره بها، و هي جزء من شخصية الإنسان الجزائري .

ممّا سبق يتّضح أن سعيد خطيبي مُلتزم بالقضية الوطنية من خلال إختيار شخصية البطل جوزيف، الذي كان مشاركا في الحرب الجزائرية، و تأثره الى حد كبير بالعادات و التقاليد، وهو ما

[1] الرواية ، ص 11.
[2] المصدر نفسه ، ص 32.
[3] المصدر نفسه ، ص 131.
[4] المصدر نفسه ، ص 57.

حقّق له إطمئنانا نفسيّا وإحساسًا بالذّات بهويّة جديدة في ظلّ قيم يمليها عليه المجتمع الذي يعيش فيه، و هو ما أدّى بدوره الى حبّه الشّديد لمدينة "بوسعادة" و التّخلي عن هويته و وطنه.

خامسا– قضية دينية :

تتربّع الجزائر على مساحة واسعة من قارة إفريقيا، وتتميّز بموقع جغرافي مهم مكّنها من إحتلال الصدارة في شتّى المجالات (الإقتصادية،الثقافية، التاريخية...) و كونها مركز للأنظار ،عبر من خلالها التّجار و الحجّاج و طلبة العلم قديما ، وما إن يظهر تيار أو مذهب إلاّ كان له وجوده و صداه في الجزائر. من هذا المنطلق عرفت الجزائر الإتجاه الصّوفي الذي ساد في المنطقة خلال ق 6 هـ ، ومع دخول العهد العثماني الذي رسّخ هذا الإتجاه نتيجة تدهور الأوضاع من أمراض و علل ،فما كان على الإنسان البسيط إلاّ اللجوء إلى التّداوي بالأعشاب، وبصاق الأولياء و التّبرك بهم، وما يستوقفنا في هذه الرواية هو إلتزام الروائي بوصف هيبة المكان الذي يتواجد به شيخ الزّاوية ، ومعالجة هذه القضية الدينية من إنحراف عن الدين الصحيح وهو الدين الإسلامي وعرضها من خلال زيارة جوزيف لشيخ الزدّاوية الرّيحانية يقول البطل جوزيف: «**في إنتظار تاكسي تنقلني إلى محطة الحافلات،في طرف المدينة ،للتّوجه من هناك إلى "زاوية الرّيحانية "لملاقاة شيخها سيدي لمنوّر ، و إبلاغه بإقتراب موعد الرّحيل**»[1]

نلاحظ من خلال إصرار البطل على الذهاب إلى الزّاوية ،مدى قدرة شيخها على التّأثير في عقول النّاس ، و كون البطل عاش في الجزائر أربعين عامًا ،فقد أصبح فكره كفكر الفرد الجزائري اللاّجئ دائما إلى الزّاوية ، واستشارتهم في مختلف أمور الحياة ،وهذا بطبيعة الحال كون الشيخ يعتمد على الدين و القرآن والحديث النّبوي و المجتمع يميل دائما إلى هذه الأسس بصفتها إيجابية و تخدم مصالحها .

ثمّ يسترسل الرّاوي بوصف المكان ،يقول : «**على مدخل الزّاوية ،ما تزال اللاّفتة الخضراء نفسها معلّقة ،كُتب عليها "أدخلوها بسلام آمنين**».[2]

[1] الرواية ، ص 58.

[2] المصدر نفسه ، ص 67.

فهذه العبارة تدلّ على أن المكان آمن خالٍ من الصراعات و الإضطرابات كل من يدخل إليها سيشعر بالسّكينة و الرّاحة و الطمأنينة .و يقول أيضا : «**ومقدّم الزّاوية عبد الله الرّمشاوي يتقدم مهزولا نحوي مرحّبا :أهلا بك الحاج أهلا بك سي عبد الله قبّل رأسي و أمسك القفّة التي وضعت فيها ثلاث قنّينات**[1]»وهذا يدلّ على حسن معاملة شيوخ الزّوايا و اللّطف والإحترام الذين يؤدّونه للضيوف وحسن أخلاقهم .وهذا يظهر جليّا في قوله :"**تفضّل الحاج الدّار دارك**[2]»

و في موضع آخر يبيّن لنا الرّاوي جوزيف استشارته من (الشّيخ لمنوّر) وأخذ النصيحة منه لقوله : «**الحال في البلاد يخوّف، وش رايك يا شيخ ؟ماذا أقول لك يا حاج البلاد تمشي كشاة عمياء**[3]» ويقول أيضا : «**الوضع لا يبشّر بالخير،عِسْ روحك ،الحالة تخوّف أفضل أن أحكي لك الأشياء في حينها ،ستصلك منّي رسالة قريبًا**[4]»

من خلال ما سبق يمكننا القول أن الرّوائي إلتزم بإظهار دور الزوايا والمشايخ التي لها أثر كبير في المجتمع الجزائري، على الرّغم من خروج المستعمر الفرنسي و زوال العهد العثماني ، إلاّ أن الأفكار بقيت مترسّخة ومتجّذرة في ذهنيتهم، وقد إستطاعت الزّوايا أيضا التحكم في شؤون البلاد السياسية و هذا يدلّ على نقص الوازع الدّيني وعدم فهم الدين على طريقته الصحيحة، والاستنجاد بهم وأخذ من قبور وأضرحة الأولياء الصالحين مكان مقدّس يلجأ إليه للأمان وهذا ما يظهر في قول جوزيف «**يا سيدي الجيلالي أُلطف بينا**[5]»

[1] الرواية ، ص 67

[2] المصدر نفسه ، ص ن.

[3] المصدر نفسه ،ص 71.

[4] المصدر نفسه ، ص ن

[5] المصدر نفسه ، ص 58.

سادسا– القضية القوميّة :

يتمسّك الإنسان بمقوّماته وهويّته مهما إبتعد عن وطنه وغاب عنه ،لسنوات فيحاول بشتّى الوسائل أن يعبّر عن ذلك الحنين سواءً بالرّسم أو بالكتابة أو غيره ، فمهما إندمج وعاش في مجتمع آخر تبقى أصوله تميّزه عن باقي الآخرين ،وهو ما يحاول سعيد خطيبي طرحه في روايته :"أربعون عامًا في إنتظار إيزابيل".

عاش البطل جوزيف أربعون عامًا في الجزائر أصابت له إضطرابًا في هويّته يقول : «**أعيش بهويّتي،الأوّل الفرنسي قروي قديم ،خاض حربًا عالميّة ،والوجه الثّاني الجزائريّ ،فيل ،شارك في حرب تحريريّة**»[1] فعلى الرّغم من إعتناقه الإسلام إلّا أنّه يظهر إستيائه وتذمّره له يقول :« ... **مع ذلك لم يحصل أن وقع لي مكروه بسببها ،لم يحصل أن أُصِبت بإسهال ولا بغثيان ولا بعسر هضم ،كما لم يسبق لي أن إتّكلت على نصيحة سليمان : قبل أن تأكل أُذكر إسم الله !"كما لو أنّ تلك العبارة المقدّسة والمبتكرة بحسب الطّلب ،كفيلة بحمايتي من البكتيريا ومن الفيروسات ،ومن أمراض خبيثة لا حول لي بها ولا قوّة**»[2] وفي موضع آخر يصوّر المسجد بصورة غير لائقة به ممّا جعله ينقم عليه وعلى أهله حيث يقول :« **فقد فجعت من الخطبة الأخيرة لإمام المسجد في صلاة الجمعة ،صار الرّجل فجأة أكثر شراسة من ذي قبل، يتحدّث بلهجة واثقة وبكلمات جارحة دون أن يلقي لها بالا فبعدها ما أتمّ الخطبة المحشوّة بآيات رعب.....أيديهنّ بالدّعاء**»[3]وفي أثناء زيارته للمسجد وفق الأحاسيس السّلبيّة التي تأثّر في النّفس من حقد وكراهيّة ودعوة إلى التّحريض ،كما كان سلوكهم منافيًا للدّين الإسلاميّ الذي يدعو للأخوّة والمحبّة ،وعي صوت الآذان يقول: «**صوت آذان الفجر وصلني خافتًا متذبذبًا ورخوًا ،يحثّ على الكسل لا على الاستيقاظ** »[4] وعن المقبرة التي يبيّن فيها عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وهي من أحد مقوّماته الوطنيّة لجلب الرّاحة والطّمأنينة ،فيقارن بين مقبرة السنّة ومقبرة النّصارى فيقول : «**بعد**

[1] الرواية ، ص 155.

[2] المصدر نفسه ، ص 109.

[3] المصدر نفسه ، ص 91.

[4] المصدر نفسه ، ص 20.

حوالي مأتي متر من مقبرة الإباضيّين في حيّ الأقواس دائمًا توجد مقبرة السنّة التي تنزل إليها كلّ يوم إثنين ،بعد صلاة الظّهر كتيبة من المخلصين لتنظيفها وتنقيتها من الفضلات والحشائش والأشواك»[1] فالمقبرة هنا لها عناية خاصّة من قبل شباب الحيّ لأنّها مقبرة أهل السنّة أمّا مقبرة النّصارى فيقول : «**مقبرة النّصارى الواقعة في الحيّ الشّعبي (الأقواس) الذي سمّي بذلك نسبة للأقواس الإسمنتيّة الكبيرة ....كما شاهدت أيضًا مجموعة من المراهقين وهم يسرحون بين القبور مع كلاب لهم ،حوّلوا المكان إلى حديقة كلاب وميدانًا لتدريبهم ،يربّون فيها حيواناتهم، ويفعلون فيها ما أرادوا :يتبوّلون ،ويتغوّطون تحت شجر الخرّوب»**[2] ترتبط هذه المقبرة بدلالات سلبيّة عديدة ،تجسّد حالة الرّدادة والإمهال الذي أصابها . حاول البطل المقارنة بين المقبرتين بطريقة غير مباشرة فمقبرة المسلمين يدفن فيها أبناء الوطن وقبرة النّصارى (في تلك المدينة) قد إندثرت ونُسيت ومصيرها مجهول ،وهي إشارة منه إلى أنّ الأموات علينا حقّ مهما كانت دياناتهم ومعتقداتهم وجب إحترامها وإحترام جميع مقدّسات الآخر.

بهذه الشّهادات التي رصدها "جوزيف" عن نفسه ،تبيّن لنا ذلك التّأثير الذي تركه الدّين الأصل في وعي الفرد وتشكيل شخصيّته ،فيرجع إليه كلّما إنتابه شعور بالألم نتيجة إحساسه بالغربة في هذا الوطن بين أهالي مدينة "بوسعادة" ،فيحنّ إلى ماضيه المسيحيّ ويزور الكنيسة من حين لآخر «**أنا الكائن الوحيد الذي يزور من حين لآخر الكنيسة المتوحّدة ،الباردة والهامدة وسط المدينة التي تستميت في مكانها منذ قرن ونصف قرن ،أزورها بحبّ أرملة مخلصة لزوجها ،أحمل إليها شموعًا وأوقدها بنفسي ،أنفض الغبار عن الكراسي الخشبيّة وعلى الصّلبان وأصلّي»**[3] **ويضيف قائلًا :"أصلّي صلوات سريعة وقلقة ،أدعو الرّب أن يجنّبني أنا وسليمان كلّ مكروه ،ثمّ أرسم إشارة الصّليب وأخرج مهرولًا»**[4]

[1] الرواية ، ص 57.

[2] المصدر نفسه ، ص 54.

[3] المصدر نفسه ، ص 52.

[4] المصدر نفسه ، ص ن.

كانت الكنيسة عنوان ماضيه وهويّته ،وهي الّتي تنير له ذكرياته وتنسيه غربته وعزلته في هذه المدينة (بوسعادة) يقول : «**في الماضي كانت تصل المتعبّدين من المسيحيّين على قلّتهم، أطباق من الأكلات الشّعبيّة إلى الكنيسة....كان أصحاب الفرح يدعون المصلّين إلى وليمة أكل ويطلبون منه الدّعاء...**» [1]

تتبدّى لنا شخصيّة جوزيف شخصيّة مركّبة مضطربة بين (مسيحي ومسلم) أمّا إسلامه فلم يكن عن قناعة تامّة ،فقد بدى شخصيّة متأسلمة ،إذ يحاول أن يظهر إسلامه ويخفي نصرانيّته حتّى يتمكّن من الإنخراط والإندماج في المجتمع الجزائري ويكسب محبّتهم «**كنت أتعامل معهم كما لو أنّي كنت مسلمًا مطيعًا لقواعد الإسلام الخمس ملتزمًا بالرّكن الرّابع من الدّين.**» [2]

ويقول أيضًا :« ...**لكنّني نجحت في تقمّص الدّور في كسب ودّ الجيران وسليمان.**» [3]

يمكننا القول أنّ سعيد خطيبي حاول أن يوصل فكرة، وهي أنّ الدّين الإسلامي المتجسّد في (المسجد) له دور سلبي على المجتمع، ودوره غائب كما رأينا في المقاطع السّابقة، أمّا الدّين المسيحيّ (الكنيسة) فلها دور إيجابيّ وفعّال في المجتمع من تعليم، وتوحيد لسلوكيّات الأفراد نحو الإيجابيّة ، وهذا نتيجة كون الدّين الإسلامي في الجزائر ليس دين إسلامي محض لأنّ فرنسا حاولت طمس الهويّة ومحوه ونشر الدّين المسيحيّ، وهو ما نراه في شخصيّة جوزيف الذي كان يبدي إستياؤه دائمًا من تصرّفات المجتمع، وبقاءه متمسّكًا بهويّته، وأصوله وحنينه إليها، وإنتهاءه في آخر المطاف بالعودة إلى وطنه وأصله.

[1] الرواية ، ص 53.

[2] المصدر نفسه ، ص 129.

[3] المصدر نفسه ، ص 130.

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الإلتزام في الرواية الجزائرية "رواية أربعون عامًا في إنتظار إيزابيل"لسعيد خطيبي" توصّلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في العناصر الآتية:

- إعتمد الروائي على مجموعة من التّقنيات الجديدة، منها، المفارقات الخادمة للموضوع.
- توظيفه للمكان جاء بطريقة جمالية متميّزة أدّت بدورها إلى ترابط الأحداث.
- معظم شخصيات الرواية هي شخصيات حقيقية مستمدّة من الواقع .
- تناول الروائي قضايا متعدّدة إجتماعية و سياسية و دينية و ثقافية و وطنية و قومية لتمرير أيديولوجية معيّنة .
- حاول سعيد خطيبي رصد مظاهر العنف و الإغتيالات إبّان الأزمة .
- تعرية الواقع الاجتماعي بسلبياته ونقده ومحاربة سياسة التهميش والإقصاء و التعصّب .
- وضّح سعيد خطيبي تمسّك المجتمع الجزائري، و بالأخصّ الصحراوي في تسيير شؤون البلاد .
- أعاد الروائي إحياء التّراث الشّعبي من: عادات، تقاليد، لباس، أكل للدلالة على أنها أصل من أصول المجتمع الجزائري لا يمكن التّخلي عنه فهو جزء لا يتجزّأ من هويته و ثقافته .
- إلتزم سعيد خطيبي بطرح القضية القوميّة عن طريق البطل جوزيف الذي تمسّك بها و عودته في النهاية إلى وطنه .
- إحساس جوزيف بالطّمأنينة والرّاحة ومشاركته في الحرب الجزائرية نتيجة تبنّيه للهوية الوطنية
- دور الزّوايا في تسيير شؤون المجتمع الجزائري المختلفة لما تحمله من أثر كبير نفسيّا و فكريّا.

ملاحق

كاتب و صحفي جزائري من مواليد 29 ديسمبر 1984 ،عمل في جريدة الجزائر نيوز، حيث ساهم لمدّة سنتين في تحرير الملحق الثقافي "الأثر"،ثم انتقل الى جريدة الخبر.درس في الجزائر وفرنسا يكتب باللّغتين العربية و الفرنسية .وفي عام 2012 حصل على جائزة الصحافة العربية،أُشتهر خصوصًا بتغطية مناطق النزاعات في إفريقيا و أوروبا الشرقية .

من أشهر مؤلّفاته«**بعيدًا عن نجمة 2009 ،أعراس النار،قصّة الرأي 2010** »[1]والذي يعدّ أول كتاب توثيقي حول موسيقي الرّاي، كما نشر في كتاب"عبرت المساء حافيًا"حوارات مع أشهر الكتاب الفرانكفونيين عام 2013.أصدر روايته الأولى :كتاب "الخطايا " التي نالت صدى نقديّا واسعًا في الجزائر و العالم العربي.

وفي عام 2015 «**صُدر له كتاب "جنائن الشّرق الملتهبة"،حاصل على جائزة اِبن بطّوطة للرّحلة المعاصرة**»[2].عمل سكرتير تحرير مجلة الدوحة الثقافية، واِستقبال منها عام 2016 .كما أسّس موقع" نفحة" الثّقافي .

وصُدر للروائي مؤخّرًا «**رواية "أربعون عامًا في اِنتظار اِيزابيل" حاول من خلالها اِستحضار التراث العربي**»[3] ،فهي اِلتفاتة منه لإعادة بث رؤية الماضي بمنظور جديد و ترسيخه في الذاكرة.

1 www.wikipedia.com

2 المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه.

ملخص الرواية

تعدّ رواية "أربعون عامًا في اِنتظار إيزابيل" من أشهر ما كتب سعيد خطيبي، صدرت حديثًا عن منشورات "الإختلاف" و "ضفاف"، المطبوعة في لبنان عام 2016م، تُغطّي فترة تمتدّ إلى أربعين عامًا من 1952 إلى 1992 .حاكت الرّواية فترات ومسارات مفصليّة في تاريخ الجزائر من إرهاصات الثّورة إلى الإستقلال وصولًا إلى العشريّة السّوداء .

الأكثر إثارة للجدل، وهي الكاتبة والرّحّالة السّويسريّة "اِيزابيل اِيبرهارت" (1877-1904) التي عاشت جزءً من حياتها القصيرة في الجزائر، والتي دُفنت في صحرائها.

تدور أحداث الرّواية حول شخصيّة "جوزيف ريتشار" أو "الحاج جوزيف" كما يسمّيه سكّان بوسعادة، هذه المدينة عاش فيها أربعين عامًا رفقة صديقه سليمان، دخل البطل الإسلام لكن في قرارة نفسه لم يكن مُقتنعا، وقد اِكتشف يوميّات "إيبرهارت" وأُعجب بها وبشخصيّتها، فصار يبحث عن نقاط التّشابه بينه وبينها، وبدأ يرسم لوحات فنيّة عن هذه اليوميّات «سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميّات إيزابيل إيبرهارت، أردمها في حديقة البيت، بيت الكرمة، وشجرة اللّيمون...» [1] فكلاهما جاء من أوربّا ليعيش في صحراء الجزائر، كما أنّهما اِعتنقا الإسلام بعد ذلك.

تتحوّل الرّواية إلى شبكة من حكايات عدّة، ترتبط كلّها ببعض وتتقاطع مع الأحداث السّياسيّة للبلد،تشكيلها اِنطلاقًا من اليوميّات الصّافية التي عاشتها الرّحّالة الرّوسيّة في صحراء الجزائر .فقام بحوار قاسي مع الذّات بسبب تشدّد التّيارات في المجتمع والحياة الجزائريّة.

[1] الرواية ، ص11

قائمة المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)، مجمع الملك فهد، المدينة المنوّرة، (د، ط) (د، ت).

أوّلا– المصادر:

2- رواية أربعون عامًا في اِنتظار اِيزابيل، سعيد خطيبي، منشورات ضفاف و الإختلاف، لبنان، ط1، 2016.

ثانيًا– المراجع العربية:

1- الأدب الهادف في روايات وقصص غالب حمزة أبو الفرج، غريد الشّيخ، قناديل للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط1، 2004.

2- الأديب والاِلتزام، نوري حمودى القيس، دار الحريّة للطّباعة، بغداد، (د، ط)، 1989

3- الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة،نجيب الكيلاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، (د، ط) 1987

4- الاِلتزام والإبداع في الشّعر الإسلامي المعاصر، أنس حسام النّعيمي، دار مجدلاوي، عمّان، ط1، 2014.

5- بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، حميد لحمداني، مركز الثّقافة العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2000.

6- جماليّات السّرد في الخطاب الرّوائي غسّان الكنفاني، صبحيّة عودة زعرب، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط1، 2006.

7- دراسات في النّفس الإنسانيّة، محمّد قطب، دار الشّروق، بيروت، (د، ط)، 1974.

8- الشّخصيّات الثّانويّة ودورها في المكان الرّوائي عند نجيب محفوظ، محمّد علي سلامة، دار الوفاء لدينا للطّباعة والنّشر، مصر، ط1، 2007.

9- شعريّة القصّة القصيرة جدًّا، جاسم خلف اِلياس، دار نينوى دمشق، (د،ط)،2010.

10- عالم أحلام مستغانم الرّوائي، رئيسة موسى كريزم، دار زهران، عمّان، ط1، 2010.

11- عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص، عبد الحقّ بلعابد، منشورات الإختلاف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008.

12- العنوان وسيموطيقا الإتّصال الأدبي، محمّد فكري الجزار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، (د، ط)،1997.

13- فلسفة الإلتزام في النّقد الأدبي، رجاء عيد، منشأة المعارف الإسكندريّة، (د،ط)،1988.

14- مدخل إلى الأدب الإسلامي نجيب الكيلاني، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث، قطر، ط1، (د،ت)

15- المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، الأصفر عبد الرزّاق، منشورات إنط، كتاب العرب، دمشق سوريا، (د، ط)1999 .

16- النّقد الأدبي الحديث، محمّد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، (د، ط) 1997.

17- نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، (د، ط)، 1987.

ثالثا- المراجع المترجمة:

1- جون بول سارتر ، دفاع عن المثقّفين، تر:جورج طرابيشي،منشورات دار الآداب ،بيروت، ط1،1973.

2- ما الأدب، جون بول سارتر، تر: محمّد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، (د ،ط)، (د،ت).

3- الهويّة ،أليكس ميكشللّي، تر:علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، ط1، 1995.

رابعا/ المعاجم:

1- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشر ،تح، محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1998.

2- لسان العرب، اِبن منظور، دار الكتب العلميّة، ط1، ج1، 1993

5- مختار االصّحاح، محمّد بن أبي بكر الرّازي، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، دط.

6- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مطبعة دار القلم، بيروت، دط، 1974.

7- المعجم الأدبي، جبور عبد النّور، دار الملايين، بيروت، ط9، 2007.

خامسا- الرسائل والمذكرات الجامعية:

1- الإلتزام في الشّعر الفلسطيني المعاصر، أحمد محمد أحمد المصري، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، فلسطين، 1989.

سادسا- المجلات والمقالات:

1-الإلتزام في الأدب بين حقيقة الوضع ومجازية الإستعمال، الخامسة علّاوي، مجلّة جيل الدراسات الأدبيّة والفكرية، جامعة قسنطينة، ع3، أكتوبر 2012.

2- الإلتزام والإبداع، ناصر الحنين، مجلة الشقائق، ع65، ذو القعدة 1324هـ.

3- حول الإلزام والإلتزام، جريدة الشعب، 16 سبتمبر 1970.

4- شعرالقصة النسوية، في الجزائر بين الإلتزام والوعي بالذات، عمر بوشموخة، 6 فيفري 2012.

5- شعر المقاومة الفلسطينية، حسن محمد حسن، مجلة الثقافة، الجزائر، ع14، أفريل، ماي 1973.

6- مصطلحات سارتر الفلسفية، رجب محمود، مجلة الفكر المعاصر، دار الكتاب العربي، القاهرة، م5، العدد ع25، مارس 1967.

7-مفهوم الإلتزام في الدب الإسلامي، لخضر العربي، مجلة الآداب واللغات، جامعة تلمسان، ع4، ماي 2005.

8- مقدمة أولى للنص الأدبي، عمر بوشموخة، الجزائر نيوز، 28 مارس 2011.

9- موقف الأديب بين الحرية والإلتزام، ماهر حسن فهمي، حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، قطر، ع3، 1981

10-موقف الإلتزام والإلزام من الأدب، العرباوي هاجر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 14:16 . 12 / 03 /2012

سابعا- المواقع الإلكترونية:

http:// aljazeera.net- 19 :05 24/02/2020

www.wikipedia.com- 13 :10 16/06/2020

www.dw.com- 23 :29 12/02/2020

www.wikipedia.org- 19 :10 16/02/2020

www.diwanalarab.com- 16 :05 18/06/2020

www.djazairess.com- 19 :18 18/03/2011

www. m. marefa.org- 14 :20 15/02/2020

www.alukah.com- 14:12 11/07/2007

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة .....أ- ب-ج.

الفصل الأول : مفاهيم و مصطلحات

توطئة 5

أولا/ مفهوم الإلتزام 5-9

أ- لغة .....5-6.

ب- إصطلاحا.....6-9.

ثانيا- الأديب بين الحرية و الإلتزام .....9-11.

ثالثا- الالِتزام في المذاهب الأدبية .....11-18.

أ-مفهوم الإلتزام في النقد الإسلامي .....11-13.

ب الإلتزام في التيار الوجودي .....13-15.

ج-الإلتزام في الواقعية الإشتراكية .....16-18.

رابعا / الإلتزام في المتن الروائي الجزائري.....18-22.

الفصل الثاني : دراسة ظاهرة الإلتزام في رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل

أولا / العنوان 24

1-وظائف العنوان.....24-26

أ-الوظيفة التعيينية.....24-25.

ب-الوظيفة الوصفية.....25.

ج-الوظيفة الإغرائية 25-26

فهرس الموضوعات

2-قراءة في عتبة العنوان .....26-30.

أ-أربعون.....26-28

ب-لفظ عام 28-29

ج-في اِنتظار.....29.

د-إيزابيل.....29-30

ثانيا /السرد .....30-32.

ثالثا /الشخصيات 32-38

1-شخصية رئيسية 33-34

2-الشخصيات الغائبة في الرواية.....32-34

3-الشخصية الهامشية.....37-38

رابعا / المكان .....38-42.

أ-لغة.....38.

ب- إصطلاحا.....39

ج- مدينة بوسعادة.....39-40.

د-المقبرة 40-41

هـ-الزوايا.....41-42

خامسا / الزمان.....42-46.

أ-لغة.....42.

ب-إصطلاحا.....43.

الفصل الثالث: قضايا الإلتزام في رواية أربعون عاما في اِنتظار اِيزابيل.

توطئة.....48.

أولا/ قضية إجتماعية .....48-52.

أ-الإغتصاب.....48-50.

ب-الزنى.....50.

ج-السحر.....50-51.

د-السرقة.....51.

هـ-القتل..... 51-52.

ثانيا / قضية ثقافية.....52-56.

ثالثا / قضية سياسية.....56-59.

رابعا / قضية وطنية.....59-61.

خامسا / قضية دينية.....61-62.

سادسا / قضية قومية..... 63-65.

خاتمة .....67.

ملاحق 69-70

التعريف بالروائي سعيد خطيبي 69

ملخص الرواية 70

قائمة المصادر و المراجع .....72-75.

فهرس الموضوعات ..... 77-80.

ملخص

يعدّ الإلتزام أهم مميّزات الرواية الجزائريّة، سواء حديثة أو قديمة، حيث شكّل حيّزا كبيرا وسط العمل الأدبي، يعبّر و يعالج فيه الأديب عن كلّ ما يدور من حوله، فيلجأ إليه ليُبيّن مشاكل و هموم مجتمعه، ليصبح بذلك صوت الشعب، فهذا ما نجده عند سعيد خطيبي في روايته " أربعون عاما في إنتظار إيزابيل"،فبعد الغوص في غمارها نجده قد أبرز مجموعة من المظاهر لحالة المجتمع الجزائري من الخمسينيات إلى غاية التسعينيات، بتجسيده لقضايا الإلتزام في تلك الحقبة من قضية سياسية وإجتماعية وثقافية، ودينية وقومية ووطنية ، وذلك على لسان الفرنسي "جوزيف رينشار " الذي عاش في الجزائر أربعين سنة، بأسلوب سردي حديث كسر فيه الثالوث المحرّم، الدين والجنس والسياسة،حيث وصف نفسيته، ورصد الواقع المعاش بكُل خباياه. وبذلك جاء عنوان البحث كالآتي: "الإلتزام في الرواية الجزائرية، رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل أنموذجا ".

Summary:

Commitment is the most important feature of the Algerian novel, whether modern or old, as it formed a large space in the middle of the literary work, in which the writer expresses and addresses everything that is going on around him, so he turns to it to explain the problems and concerns of his society, thus becoming the voice of the people, this is what we find with Said My fiance in his novel "Forty Years Waiting for Isabelle", after delving into it, we find that he highlighted a group of manifestations of the state of Algerian society from the 1950s to the 1990s, by embodying the issues of commitment in that era from a political, social, cultural, religious, national, and patriotic issue. "Joseph Rinchard" who lived in Algeria for forty years, in a modern narrative style in which he broke the forbidden trinity, religion, gender and politics, as he described his

psychology and monitored the lived reality with all its mysteries. Thus, the title of the research came as follows: "The commitment in the Algerian novel, the novel forty years waiting for Isabelle as a model".
Which we divided into three chapters, in the first chapter entitled "Concepts and Terminology, while the second chapter entitled it" The Study of the Phenomenon of Commitment in the Novel of Forty Years in Waiting for Isabel, "and in Chapter Three entitled" Issues of Commitment in the Novel of Forty Years in Waiting for Isabel. "